الوصمة والمعايرة والعار الاجتماعي في العصر الأموي

(٤١ – ١٣٢ هـ / ٦٦١ – ٧٤٩ م)

د/ محمد السيد فياض[*]

ربما يكون جديداً أن يتصدى باحث في التأريخ لهذه الإشكالية المتمثلة في الوصمة والمعايرة والعار الاجتماعي ، رغم حضورها الطاغي على صفحات التاريخ الإسلامي عبر حقب طويلة وممتدة ، وفي ظل عصر مثل العصر الأموي وهو عصر الدولة العربية في قوتها وفتوتها الأولى فإن استحضار صفات قديمة أو حوادث أو تاريخ غير مشرف كان سلاحاً ماضياً يُستخدم في جدلية الصراع السياسي أو التفاخر أو التنابذ أو إثبات علو شأن على آخر في عصر سادته العصبيات والنعرات والتفاخر بالأصل والأنساب ، ولم تقتصر محاور الدراسة على هذا الأمر بل إن الوصمة تم استحضارها في سياقات ومناسبات متعددة، سوف نتعرض لها فيما يلي.

مصطلح الدراسة :

الوصم هو العيب في الحسب وجمعه وصوم، ورجل موصوم الحسب إذا كان معيباً، ووصم الرجل عابه ولطخه بقبيح، تنقص من قدره، ووصم حسب فلان ألحق به العار، ووصم الشيء عابه، والوصمة العيب في الكلام ، والوصم العيب يكون في الإنسان وفي كل شيء، والوصم العيب والعار، يقال ما في فلان وصمة أي عيب[١] وهي تعني قلة الاحترام لشخص ما، والرفض الاجتماعي وموقف مخجل أو الإشارة علامات وصفات جسدية ناقصة ، كما أن الوصمة تجعل الشخص الموصوم غير مرغوب فيه ، وقد اجتهد علماء الاجتماع في وضع تعريفات عديدة للوصمة والموصومين ، بل كان يُضرب المثل في التقليل من بعض الزيجات " لو كان عبداً لأنكحته إياها " [٢] .

أما العار فهو السبة والعيب ، وقيل هو كل شيء يلزم به سبة أو عيب والجمع أعيار ، وفلان ظاهر الأعيار أي ظاهر العيوب ، وتعاير القوم عير بعضهم بعضاً ، والعامة تقول عيره بكذا ، والمعاير هي المعايب ، يقال عاره إذا عابه" [٣] .

---

[*] أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد كلية الآداب – جامعة طنطا

[١] ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة (د.ت)، ص ٤٨٥٣ .

[٢] الحموي : التاريخ الإسلامي المعروف باسم التاريخ المظفري ، تحقيق : حامد زيان غانم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٥٠ .

[٣] ابن منظور : لسان العرب ، ص ٣١٨٨ .

إشكالية الموضوع والمصادر :

قبل الولوج إلى إشكاليات وقضايا الدراسة علينا أولاً أن نُقر أن عرض الباحث لهذا الموضوع أو استعراض الوصوم التي تم استخدامها خلال العصر الأموي لا يعني إقراراً منا بصحة كل ما تم تداوله من خلال سياق المصادر التاريخية ، فبداية قبل أن ننطلق في هذا الطرح علينا أن نبدأ من قاعدة أن التاريخ يكتبه المنتصر ، وأن تاريخ الدولة الأموية تعرض لتشويه متعمد ومخطط ممنهج ، ولم لا فمعظم ما كُتب من أحداثه كُتب في العصر العباسي إما بأقلام مؤرخي سلطة نافقوا العباسيين بكتاباتهم ، أو من هم ذوو ميول شيعية ساهموا بشكل واضح في رسم صورة قاتمة لأعدائهم التقليديين ، أو لكتابات اكتفت بالصمت أوتبرعت بالتشويه خوفاً من السلطة العباسية ، ولا يعني ذلك أن ما تم استعراضه كان عارياً تماماً من الصحة فقد حاول البحث رصد الحوادث التي اتفقت عليها معظم المصادر ، ولكن رغم ذلك كان جزءاً مما تم عرضه دعائياً بامتياز وبالطبع فإن الباحث سيتداخل مع ما رأى أنه تشويه أو دس أو تحريف في بعض مواضع الدراسة .

وكما أسلفنا فقد ساهمت كتابات متعددة في عملية التشويه الواضح للأمويين فعلى سبيل المثال نجد أن المقريزي مثلاً وهو الذي توفى في منتصف القرن التاسع الهجري يكتب عن الأمويين كتابة غير موضوعية وهم الذين حكموا بين القرنين الأول والربع الأول من القرن الثاني الهجري ، ففي كتابه " النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم " يدشن فصل الكتاب الأول بعنوان " مثالب بني أمية " [١] .

ويبدو أن المقريزي قد تأثر باتجاهات مذهبية [٢] جعلته يرصد هذا العمل الذى كان موقفه بالغ السلبية من الأمويين ، ووصل هذا التشويه إلى حد التكفير مثلما فعل الجاحظ [٣] .

---

[١] يقول المقريزي في مدخل هذا الفصل " فقد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوته للنبي صلى الله عليه وسلم وفي محاربته وفي إجلابه عليه ، وفي غزوه إياه ، وعرفنا إسلامه كيف ألم ، وخلاصه كيف خلص على أنه إنما أسلم على يد العباس رضي الله عنه ، والعباس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى النبي ... وحاربوا عليا ، وسموا الحسن وقتلوا الحسين ، وحملوا النساء على الأقتاب حواسر ، ويعدد عشرات المثالب التي لا يمكن قراءتها إلا في إطار الحرب الدعائية التي وضع الكتاب لأجلها . ومن الواضح أن هذا التنابذ وتلك المعايرة كانت امتدادا للحرب الكلامية بين بني هاشم وبني أمية، وهو الأمر الذي تطور على المستوى السياسي واستمر الجدال بينهم حول أفضلية كل فريق على الآخر. وهو ما سوف يتضح في العديد من الأمثلة التي وردت في النصوص التي احتوتها المصادر التاريخية. وهو أمر ليس بجديد فهو يمتد بجذوره إلى الخلاف القديم بين بني أمية وبني هاشم . انظر : المقريزي : النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم ، ص ٢٧ : ٣٧ ،

[٢] يرصد أحد الباحثين صفحات مطولة لعرض فرضية الانتماء الشيعي الإسماعيلي للمقريزي وينتهي بعد تمحيص معظم الآراء أنه لا يمكن نعته أو نسبته للمذهب الشيعي ولكن أقر بأن لديه ميولاً للدولة الفاطمية والفاطميين بحكم النسب لا بحكم الانتماء المذهبي . انظر : هشام عزت علي عنبر : موقف بعض مؤرخي القرن التاسع الهجري من الشيعة والتشيع ، دراسة مقارنة بين المقريزي وابن تغري بردي ، المجلة العلمية لكلية الآداب ، جامعة دمياط ، مجلد ١١ ، عدد ٢ ، ٢٠٢٢ ، ص ١١ .

[٣] حسبما قال الجاحظ في هذا الصدد " ومن لم يدن بإكفارهم حتى نجمت النوابت وتابعتها هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى من الأعمال التي هي الفسق وصاروا شركاء من كفر منهم بتوليهم وترك

بالإضافة إلى ما سبق فقد ساهم العباسيون بشكل واضح في صناعة تلك الصورة عن أعدائهم الأمويين فعلى سبيل المثال كان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور إذا ذكر بني أمية قال " كان عبد الملك جباراً لا يبالي ما يصنع ، وكان الوليد مجنوناً ، وكان سليمان همه بطنه وفرجه ، وكان عمر أعور بين عميان فإذا قيل عدل . قال : إن من عدله أن لا يقبلها ممن لم يكن لها أهلاً ويتولها بغير استحقاق ، وكان هشام الأحول السراق " إلى آخر القائمة الطويلة من النقائص والمثالب[١].

وحتى داخل الأسرة الأموية نفسها فقد وصموا بعضهم البعض ، فعلى سبيل المثال كان الناس يتقربون لهشام بن عبد الملك (١٠٥- ١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م) بعيب الوليد بن يزيد (١٢٦هـ / ٧٤٤م) وكان هشام يبغضه ، وفي إحدى المرات عاب قوم في الوليد بن يزيد فقال " معاوية بن عمرو بن عتبة " دعونا من عيب من يلزمنا مدحه ووضع من يجب علينا رفعه [٢] . **على أية حال فقد تعدد المواضع التي تم استخدام الوصمة أو المعايرة أو من حمل صاحبها عاراً إجتماعياً وذلك على النحو التالي :**

وصمة الأصـــــــــل والعـــــــــــــــرق :

وما يستوي المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك [٣]

كان العرق أو الأصل الاجتماعي عاملاً من عوامل التصنيف الطبقي في العصر الأموي ، وبطبيعة الحال فليست مهمة الدراسة هنا اجترار تاريخ الوضعية السياسية للموالي في العصر الأموي ولكن ما يعنينا تماس تلك الوضعية مع بعض ما تناثر من حوادث تم وصم أصحابها أو معايرتهم نتيجة ذلك الانتماء العرقي ، يقول "فان فلوتن " هذا إلى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب أولئك الموالي واعتبارهم إياهم فئة منحطة لا تكاد تختلف

إكفارهم . انظر : الجاحظ : رسالة في بني أمية ، وهي ملحق لكتاب المقريزي النزاع والتخاصم ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ١٣٠ والتي تليها ، انبرى الجاحظ في رسائله السياسية التي ناضل فيها عن العباسيين لتجريح الأمويين والقدح فيهم والطعن عليهم فجردهم من المحامد والفضائل ، ونسب إليهم المعاسي والرذائل ، وللغاية نفسها صنف الجاحظ " رسالة في بني أمية " وهو يشهر فيها بالأمويين من سفيانيين ومروانيين ويسلبهم مكارمهم ومساعيهم ويلحق بهم القبح والمثالب ويتهمهم بمخالفة الإسلام وتعطيل حدوده" . انظر : حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد من كتب التاريخ والأدب ومن شعره ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٩ .

[١] المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٣٥ والتي تليها .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ ، ج٥ ، ص ١٩٦ .

[٣] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ١٤٢ .

عن طائفة الرقيق في شيء ، واستخدموا كلمة الموالي التي كانت تُطلق على الرقيق المعتق وكان لهذه الكلمة أثر كبير في احتقار العرب لتلك الطائفة " [١] إما من قبل السلطة [٢] أو المجتمع .

وفي الحقيقة ففي بعض الأحيان بلغ ذلك الوصم مبلغاً متطرفاً حد الاحتقار ومن مظاهر هذا الاحتقار أنهم كانوا يقولون " لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى [٣] ، وكان بعضهم يسمي الموالي "بني إستها" وهي تسمية قبيحة تقال للحط من قيمتهم والتشنيع بهم [٤] ، وحسب تعبير إحدى الباحثات فقد كان الحجاج بن يوسف أحد أركان الدولة الأموية يمثل أيضاً هذه النزعة الاحتقارية وهذا السلك المتصلب ضد الموالي والأعاجم وأطلق عليهم مسمى العلوج [٥] ، وامتد احتقار العرب إلى الهجناء وهو حسب رؤيتهم من كان أبوه شريف وأمه وضيعة والأصل في ذلك أن تكون أمة [٦] .

وكانت بنو أمية لا تستخلف بني الإماء وقالوا لا تصلح لهم العرب [٧] أو لما قيل أن بنو أمية كانت تكره أن تولي الخلافة أبناء أمهات الأولاد لأنها كانت ترى أن ذهاب ملكها على يدي ابن أمة [٨] .

وعلى مستوى الأدب فقد كان فن الهجاء يعول على الأيام والأحساب والأنساب والمآثر الأصيلة كالكرم والشجاعة والحلم في زمن لم تكن قد ارتفعت فيه كثيراً أسهم الموالي ، ولم تكن نجوم

---

[١] السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ص ٣٧ .

[٢] من المفارقات الغريبة أن الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك صاحب النصيب الأكبر من التشويه حاول الارتداد على هذه السياسة ولكن ذلك كان مدعاة لنقده والهجوم عليه بشكل شرس ، فها هو الجاحظ يوجه نقدًا حادًا للخليفة الأموي " يزيد بن عبد الملك " أنه سوى بين الطبقة العليا والسفلى ، وأفسد أقسام المراتب ، وغلب عليه اللهو واستخف بآيين المملكة . انظر : الجاحظ : أخلاق الملوك ، تحقيق : نسيم الهواري ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٢٢ ، ص ٣٦ .

[٣] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٣ ، ص ٣٧٨ ؛ شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة من الفتح إلى القرن الثالث هـ / التاسع م ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ١٧٤ .

[٤] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة ، ص ١٧٤ .

[٥] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة ، ص ١٧١ .

[٦] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة ، ص ٢٠٧ .

[٧] قال زياد بن يحيى : حدثنا جبلة بن عبد الملك قالوا سابق عبد الملك سليمان ومسلمة فسبق سليمان مسلمة فقال عبد الملك :

ألم أنهكم أن تحملوا هجناءكم على خيلكم يوم الرهان فتدرك

وما يستوي المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها متشرك

وتضعف عضداه ويقصر سوطه وتقصر رجلاه فلا يتحرك

وأدركه حالاته فنزعنه ألا إن عرق السوء لابد يدرك .

وقد قال الأصمعي أن بني أمية كانت لا تبايع لبني أمهات الأولاد ليس من دافع الاستهانة ولكن لأنهم كانوا يرون أن زوال ملكهم على يد أم ولد ، فلما ولى الناقص ظن الناس أنه الذي يُذهب ملك بني أمية على يديه وكانت أمه بنت يزدجرد بن كسرى . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٧ ، ص ١٤٣ .

[٨] المسعودي : التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٩٧ .

شعرائهم قد لمعت ، ولم تكن حياة الأمة قد اصطبغت بكثير من ألوان صبغة حياتهم كما حدث فيما بعد [١] .

والناظر في أدب ذلك الزمن يرى بوضوح انحطاط مكانة الموالي الاجتماعية ، فمثلاً اعتبر زواج أحد الموالي من عربية أصيلة في عروبتها زواجاً معيباً ، بل وصل الحال بأن يتساءل البعض من العرب عما إذا كان " مثل هذا الزواج يمكن أن يعقد حتى بين سعداء الجنة " [٢] ، وكانت لفظة " يا ابن الأمة" تستخدم دائماً بغرض الحط من قيمة المنادى بهذه الصفة [٣] ، وكانوا يرون أن الزواج من الموالي والأعاجم مذلة ومهانة [٤] .

ومن للذين تعرضوا لهذه الوصمة بأمه عبيد الله بن زياد للذي كان يُنادى دائماً بابن مرجانة[٥] ، على اعتبار أنها كانت أم ولد من بنات الفرس ، وكذلك الإمام زيد بن علي زين العابدين، على اعتبار أنها أم ولد فارسية ، فقد ورد أن زيدا دخل على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بالرصافة فلما مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه فجلس حين انتهى به مجلسه وقال يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله فقال هشام اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة [٦] ، وفي رواية أخرى أنت الطامع

---

[١] عبد العزيز بن محمد الخويطر : الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والإسلام ، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق ، جامعة الأزهر ، المجلد ٣٣ ، العدد١ ، ٢٠١٣ م ، ص ١٥٥ .

[٢] برنارد لويس : العرب في التاريخ ، ترجمة : نبيه أمين فارس ، محمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٤ ، ص ٩٨ .

[٣] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١١٦ .

[٤] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة ، ص ٢٤٠ .

[٥] الدينوري : الأخبار الطوال ، تحقيق : فلاديمير جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ ، ص ٣٧٣ ؛ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت ، ج٣ ، ص ١٠٥ .

أبو حفص عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمير العراق، ولي البصرة سنة ٥٥هـ / ٦٧٤م وكان عمره ٢٢سنة، وولي خراسان، فكان أول عربي قطع جيحون، وافتتح بيكند، وغيرها. وقيل: كانت أمه مرجانة من بنات ملوك الفرس. الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١ ، ج٣، ص ٣٤٥.

[٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١١٦ ، ج٥ ، ص ٢٢٥ ، ج ٧ ، ص ١٣٩ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢١٨ ؛ مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص ٩٣، قد رد زيد بن علي يا أمير المؤمنين إن لك جواباً إن أحببت أجبتك به وإن أحببت أمسكت عنه فقال بل أجب : قال إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً وجعله للعرب أباً فأخرج من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي . انظر المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢١٨ .

في الخلافة وأمك أمة ، وفي رواية ابن عساكر، أن هشاماً قال له يا زيد بلغني أن نفسك لتسمو بك إلى الإمامة، والإمامة لا تصلح لأولاد الإماء[١].

وصمة الأهل وماضيهم :

ولقد هجوتموني في أسلافي بأشد من وخز الأسل

معاوية بن أبي سفيان ،،،

كانت المعايرة بالأهل وماضيهم أحد أبرز مواضع الوصم في العصر الأموي ، وقد أشارت العديد من النصوص التاريخية إلى هذا الطرح ، فكثيراً ما تعرض رجال للمعايرة ولحقت بهم الوصوم بسبب أمهاتهم أو آبائهم حتى لو كانو يشغلون أعلى المناصب السياسية والإدارية، وقد اعترف معاوية بن أبي سفيان (٤١- ٦٠هـ / ٦٦١ – ٦٨٠م) نفسه بمدى قسوة الهجوم عليه بأهله قائلاً " ولقد هجوتموني في أسلافي بأشد من وخز الأسل " [٢] .

وامتدت تلك المعايرات إلى سلوكيات الأهل في الماضي ومن الغريب أن زياد بن أبيه [٣] قبل الانتساب لأخوة معاوية بن أبي سفيان كان يوظف أيضاً الوصمة ضد معاوية، ويعيره بأمه وماضيها فعندما صار الأمر إلى معاوية، كتب إلى زياد بن أبيه يتوعده ، وكان زياد عاملاً لعلي

---

[١] تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، دار الفكر ، دمشق، ج٢٦ طبعة ١٩٩٥، ج٤٣، ١٩٩٦، ج١٩، ص ٤٦٨ .

وأمه أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيدة لعلي بن الحسين فولدت له زيدا، وعمر وعليا وخديجة ."اشترى المختار بن أبي عبيدة جارية بثلاثين ألفا فقال لها: ادبري. فأدبرت، ثم قال لها: اقبلي. فأقبلت ثم قال: ما أدري أحدا أحق بها من علي بن الحسين فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي" . أبو الفرج الأصفهاني: " مقاتل الطالبين " تحقيق السيد أحمد صقر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص٨٦.

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١١٩ .

كان دخول أبي سفيان الدين الإسلامي متأخراً بابًا لوصم معاوية وهو ما يمكن أن نلمحه في النص التالي : دخل معاوية بن أبي سفيان على أبيه أبي سفيان فقال له " يابني إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا عنهم ، فرفعهم سبقهم وقصر بنا تأخرنا ، فصرنا أتباعاً وصاروا قادرة ، وقد قلدوك جسيماً من أمرهم فلا تخالفن أمرهم فإنك تجري إلى أمد لم تبلغه ولو قد بلغته لتنفست فيه . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ١٤ .

[٣] زياد بن أبيه: هو أمير من الدهاة القادة الفاتحين الولاة الخطباء، ولد في الطائف واختلفوا في أم أبيه، وقيل أن أبيه أبو سفيان، ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة، وتبناه عبيد مولى الحارث، أسلم زمن أبي بكر، وأخرجه المغيرة بن شعبة معه إلى البصرة حين وليها من قبل عمر بن الخطاب، أما عن تحولاته السياسية ففي أول الأمر كان من أتباع الإمام علي وكانت علاقته متوترة مع معاوية، ولكن بعد مقتل علي كتب معاوية له أماناً على أن يأتيه فسار إلى معاوية، وترقت به الأمور إلى أن ادعاه، وزعم أنه ابن أبي سفيان ولما مات المغيرة جمع له أيضاً ولاية الكوفة وسائر العراق فكان أول من جمع له العراقيين مات بالكوفة ٥٣ هـ / ٦٧٢ م.

انظر الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢١٩ والتي تليها؛ ابن قتيبة: المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٢١ ، ص ١٩٥؛ المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ١٧؛ ابن الفراء: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق : صلاح الدين المنجد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٨١.

ابن أبي طالب على فارس فقام زياد خطيباً وقال " إن ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الأحزاب يعني معاوية ...."[١]. والواقع أن وصمة هند بنت عتبة "آكلة الأكباد" ظلت تلاحق معاوية بن أبي سفيان وهذا ما تضمنته خطبة زياد بن أبيه.

كما كانت بعض المواقف القديمة كفيلة بإلصاق وصمة لا يمكن الفكاك منها، وربما يتجلى ذلك من خلال ما كان يقال لمروان بن الحكم (٦٤ – ٦٥هـ / ٦٨٤ –٦٨٥م) إنه " ابن الطريد " وذلك لأن أباه الحكم طرده الرسول صلى الله عليه وسلم عن المدينة[٢]، كما كان يتم استحضار رواية لعن الرسول صلعم لوالد مروان بن الحكم في سياقات ومواقف سياسية خلال العصر الأموي[٣].

ولم يتوان الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥– ٨٦هـ / ٦٨٥ – ٧٠٥م) أن يستخدم هذا السلاح لعقاب الحجاج عقاباً معنوياً بالغ القسوة ، فقد بلغ عبد الملك بن مروان أن الحجاج بن يوسف الثقفي يستخف بأنس بن مالك فكتب إليه عبد الملك قائلاً " أما بعد فإنك عبد قد طمت بك الأمور وعلوت فيها حتى تعديت طورك، وايم الله يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب[٤] لقد هممت أن أركلك ركلة تهوى بك إلى النار، فاذكر مكاسب آبائك بالطائف فإنك وإياهم كنتم تحفرون الآبار وتنقلون الحجارة على ظهوركم فقد نسيت ما كنت من الدناءة واللؤوم فعليك لعنة الله ..."[٥]، أو في روايات أخرى فقد نسيت ما كنت عليه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤوم والضراعة[٦].

---

[١] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٣٢ ؛ الحموي : التاريخ المظفري ، ص ١٩٥ .

[٢] ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، عني بنشره : محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية بمصر ، د.ت ، ص ٨٧ ؛ المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٤٧ .

[٣] السيوطي : تاريخ الخلفاء، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت ، ص ٣٢٢ .

[٤] حسب إحدى الكتابات أن تفسير هذه العبارة الغريبة أن المرأة العربية إذا تزوجت مرة ومرة وثالثة وأرادت أن تتزوج الرابع مثلاً وآنست في نفسها سعة " أي أحست أن عضوها التناسلي غدا أوسع من اللازم " أتت بعجم الزبيب أي البذور الموجودة في الزبيب " العنب المجفف " وطحنته وسحنته وفرمته وجعلت منه ما يشبه العجينة، ووضعت هذه العجينة في فرجها ، لأن عجم الزبيب كما قالت العرب يشد الجلد المرتخي ، وهو قابض يقبض ما اتسع ، ويضم ما تهدل ، والمعنى مفهوم فكأنما عبد الملك بن مروان يريد أن يقول للحجاج الثقفي يابن الواسع فرجها، ولكنه صاغ عبارته بأسلوب فيه كناية بليغة . انظر : ع ع : تراث العبيد دراسة في علم الاجتماع التاريخي ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٦٧ .

[٥] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٢٧ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٩٦ والتي تليها ؛ الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٥١ ؛ الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، وقف على طبعه وتصحيحه : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت ، ص ١٠ .

[٦] الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ص ١٠ .

ولعل في ذلك مايشير إلى أن ماضي أباء وأجداد الحجاج بن يوسف قد التصق به حتى بعد أن أصبح ذا شأن رفيع في الدولة فقد طال أهله مذلة ودناءة ، وكان بهم ما بهم من الوضاعة والعمل بأحقر الأعمال، فحمل لوصمة أمه وآبائه وعيره بها الخليفة الأموي.

كما شملت المعايرة أيضاً استدعاء ألفاظ أو صفات ممكن أن توصم بها إحدى نساء عائلة الموصوم، ربما عبر تاريخ أخلاقي غير محمود سواء كان ذلك واقعاً أو إدعاءً، ومن هنا فإن المعايرة بهذا التاريخ العائلي كفيل بأن يحقق وصمة أو ذم واضح يستوجب المعايرة [١] .

ويتجلى الطرح السابق في العديد من المواقف التي رصدتها النصوص التاريخية فعلى سبيل المثال أن من أراد ذم مروان بن الحكم وعيبه كان يقول له " يا ابن الزرقاء "، وحسبما أوردت النصوص أن الزرقاء جدتهم كانت من ذوات الرايات التي يستدل بها على بيوت البغايا في الجاهلية فلذلك كانوا يعيرون ويذمون بها[٢] ولعل هذا كان فيها قبل أن يتزوجها أبو العاص بن أمية والد الحكم فإنه كان من أشراف قريش، ولا يكون هذا من امرأة له وهي عنده [٣].

وحتى لو تكرر زواجها كان ذلك مدعاه للمعايرة ، فعلى سبيل المثال كان مروان حين بويع بالخلافة، قد تزوج أم خالد أرملة الخليفة يزيد بن معاوية (٦٠- ٦٤هـ / ٦٨٠ – ٦٨٣م)، ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة فدخل خالد يوماً على مروان فقال له مروان: يا ابن الرطبة، ونسبه إلى الأحمق ليصغر أمره عند أهل الشام، فخجل خالد ودخل على أمه وأخبرها بما قال له مروان. فقالت لا يعلمن أحد لئنك أعلمتني ولأنا أكفيك، فما أن نام مروان

---

[١] وحتى على مستوى أبناء الأسرة الأموية الواحدة فقد نقلت المصادر حالة التنابذ واستحضار المعايرة والوصمة مهما كانت حدتها و بساطتها فعلى سبيل المثال قال الوليد ليزيد يابن الفرار يعني أباه حين هرب من سجن خالد فقال يزيد يابن الظراط ، فقال الوليد يابن اللخناء فقال يزيد بل أنت نزوة خوار على أمه لا يسبق الحلبات اللوم والخور، وقال يابن العجزاء فقال يزيد إنما قدمتكم أعجاز النساء وقدمتنا صدور العوالي يعني أن ولادة أم الوليد وسليمان كانت منهم وكان القعقاع بن خليد ظرط عند الوليد . العيون والحدائق ، ص ١٢٢ والتي تليها .

[٢] ابن الطقطقي: الفخري ، ص ٨٧ ، وحسبما ذكر ابن الطقطقي " أن رويت أحاديث وأخبار في لعنة الحكم بن العاص ولعنة من في صلبه وضعفها قوم " . انظر : ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٨٧ .

[٣] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تصحيح : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣ ، ج٤ ، ص ١٩٣ والتي تليها .

عندها ليلة حتى وضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات، وأراد عبد الملك أن يقتلها فقيل له: أتريد أن " يتحدث الناس أن أباك قتلته امرأة "[١] .

ومن الروايات أيضاً التي تدلل على استحضار تاريخ غير أخلاقي، وإن بدا الأمر غريبا، لما كان يتصف به عمر بن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١هـ / ٧١٧ – ٧٢٠م) من التقوى والورع [٢] أنه استاء من لغة خطاب عمر بن الوليد بن عبد الملك وانتقاداته لسياساته التقشفية ومنعه أعطياتهم، فأرسل له عمر بن عبد العزيز قائلا: " فإنك ابن نباتة أمة السكون كانت تطوف في سوق جمعين وتدخل في حوانيتها ثم الله أعلم بما اشتراها ذبيان من مال المسلمين فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جباراً عنيداً تزعم أني من الظالمين لما حرمتك ولأهل بيتك في الله عزوجل من مال الله للذي فيه حق القربة والمساكين والأرامل ... فرويداً يابن نباتة"[٣].

اتصالاً بما سبق فلم يكن هشام بن عبد الملك يحب الوليد بن يزيد وحسب إحدى الروايات أن العباس بن الوليد وجماعة من بني مروان اجتمعوا عند هشام فذكروا الوليد بن يزيد وعابوه وذموه ، وهنا تتشابك النصوص المؤرخة لوابل من الوصمات فعندما دخل الوليد قال له العباس كيف حبك للروميات فإن أباك كان شغوفاً بهن ، قال كيف لا يكون وهن يلدن مثلك ، فقال ألا تسكت يا ابن البظراء ، قال حسبك أيها المفتخر علينا بختان أمك [٤] .

وفي سياق آخر فقد شكل الانتماء الديني السابق على الإسلام عاملاً من عوامل الوصم والمعايرة متغافلين عن قاعدتين هامتين أولهما " لا نفرق بين أحد من رسله " وقاعدة " الإسلام يَجُبُ ما قبله " ولكن هذه القواعد تم التغافل عنها في بعض الأحيان إما بدافع العصبية أو

---

[١] الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٣٩٣؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٩٧ والتي تليها؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص ٨٧ والتي تليها ؛ ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم : قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ ، ص ٤٩؛ الحموي: التاريخ المظفري، ص ٢٢٩؛ ابن العز الحنفي: شرح القصيد اللامية في خلفاء الدولة الإسلامية ، تحقيق : أشرف عبد المقصود عبد الرحيم ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ ، ص ١١٦؛ وراجع أيضاً: ابن قتيبة: المعارف ، ص ٣٥٤ .

[٢] من المفيد الرجوع لدراسة عبد الهادي العجمي : قراءة في تطور الصورة التاريخية لعمر بن عبد العزيز ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، مجلد ١١ ، عدد ٢ ، ٢٠١٤ .

[٣] الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، ص٢٠؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٧، ص١٠١- ١٠٢.

[٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ١٩٦ .

التعصب فعلى سبيل المثال كان خالد بن عبد الله القسري يعير بأمه لأنها كانت مسيحية[١] وحسب إحدى التعليقات " فبالرغم من تمتع كبار المسيحيين بمركز مرموق بشكل عام في الدولة الأموية في العراق إلا أن كلمة نصراني أو ابن نصراني كانت تعتبر منقصة ، وكان الخلفاء والأمراء يقولونها للتقليل من قيمة هؤلاء والحط من منزلتهم ، فهذا هو خالد القسري مثلاً كان أبوه مسلماً إلا أن أمه نصرانية وبقت على نصرانيتها إلى أن ماتت وبالرغم من مركز خالد في العراق كوال استمر في ولاية العراق أكثر من أربع عشرة سنة إلا أن هشام بن عبد الملك لما أراد عزله[٢] كتب إليه " أما بعد فقد بلغني مقالتك وستعلم يابن النصرانية أن الذي رفعك سيضعك "[٣].

---

[١] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٩٨ ، ومن الجدير بالذكر فقد وُصم أيضاً خالد بن عبد الله القسري بالبخل . انظر: الجاحظ : البخلاء ، تحقيق : طه الحاجري ، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة السابعة ، د.ت ، ص ٦٦.

وفي ذات الإطار فقد روي أنه بنى لأمه كنيسة تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق:

ألا قبح الرحمن ظهر مطية أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كان أمه تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لأمه ويهدم من بغض منار المساجد .

انظر : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٤٢٦.

[٢] ومن الجدير بالذكر أنه في عام ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م، عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري عن العراق وولى عليه يوسف بن عمر الثقفي، وأمره أن يعذب خالدًا ويأخذ أمواله ويصادرها فصاكه على تسعة آلاف ألف فأبى خالد فعذبه حتى مات في العذاب، وقيل إنه أخذ منه مائة ألف ألف وذلك أن خالدًا استولى على ضياع كثيرة بالسواد بلغت غلتها ثلاثة عشر ألف ألف وقيل عشرون ألف ألف . انظر : محمد عبد الله النقيرة: مصادرات الخلفاء وأعوانهم أموال مخالفيهم حتى نهاية العصر العباسي الأول، بحث منشور في ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المجلد التاسع، ١٩٩٢ م، ص ٢٠ .

[٣] سهيل قاشا : المسيحيون والدولة الأموية ، فصل ملحق على نص ترجمته لكتاب ديونيسيوس المنحول ، المكتبة البولسية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٥٨ وقد أورد محور كامل كامل يتعلق بأم خالد القسري وما لحق بخالد من وصم ومعايرة بسببها وأن مسلمة بن هشام قد عيره بنصرانيتها لعداوة بينهما ، وعندما مات أسد شقيق خالد عن إمارة خراسان وأعمالها نيابة عن أخيه كتب إليه مسلمة شامتاً به أبياتاً هجاه فيها وتطرق إلى نصرانية أمه فقال :

وأمه همها وبغيتها هم الإماء العواهر الشرد .

وقال الفرذدق :

وأنت يا ابن النصرانية طال بظرها غذتك بألبان الخنازير والخمر .

والأحداث والدلالات متعددة بشأن هذه الواقعة ويمكن الوقوف على تفاصيلها في : سهيل قاشا : المسيحيون والدولة الأموية ، فصل ملحق على نص ترجمته لكتاب ديونيسيوس المنحول ، ص ٢٧٨ : ص ٢٨١ .

زياد بن أبي سفيان – ابن أبيه – بين وصمة الأم ووصمة الاستلحاق :

ابن أبيه – ابن أبي سفيان – ابن سمية ،،،

يمكن اعتبار ما حدث لزياد بن أبيه ذروة الحضور للوصمة والمعايرة عبر تاريخ الدولة الأموية برمته ، فهذه الحادثة تعتبر من أبرز المشاهد التاريخية التي يمكن استحضارها في هذا السياق ، والغريب أن وصمة زياد بن أبيه كانت بطاقة عبوره لمراتب السلطة والصفوة ودائرة صناعة القرار [١] ، هذا الألم النفسي كان عنوانه الأول اسمه، فهو ابن أبيه، أي الذي لم يُعرف له أب، أو طالما كان اسمه زياد بن سمية باسم أمه [٢] وأن أمه كانت من ذوات الرايات بالطائف تنزل بالموضع للذي تنزل فيه البغايا بالطائف خارجاً عن الحضر في محلة يقال لها حارة البغايا[٣] ، ورغم أن زياد قد استفاد من وصمته التي طالما سببت له ألماً نفسياً شديد الوطأة إلا أن ذلك الألم لم ينقطع حتى بعد شرف الاستلحاق رغم ما جناه من مكاسب كبرى أخرى .

وتكاد تتفق المصادر التي أرخت لهذه القضية أن برجماتية معاوية بن أبي سفيان ورغبته في دعم صفوفه بشخص من العيار الثقيل وهو " زياد بن أبيه " دفعته للقيام بتصرف فريد من نوعه وهو "استلحاق زياد لنسب أبيه أبي سفيان ليصبح فرداً من العائلة تحت اسم زياد بن أبي سفيان "، وذلك بعد تحقيق وتحقق وسماع شهود عيان حتى تيقن معاوية أن زياداً أخوه من أبيه للذي واقع سمية أم زياد وهي التي كانت بغية من بغايا العرب، فحملت به ، وهنا تحولت الوصمة التي لحقت به من محنة إلى منحة وهبته حياة مختلفة وأفقًا جديدًا [٤] .

---

[١] يعبر ابن حزم عن ذلك بقوله " وقد كان فيمن ولد لغير رشده من كان الغاية في رئاسة الدنيا كزياد " . انظر : ابن حزم ، الأخلاق والسير ، تحقيق : إيفار رياض، دار ابن حزم ، د.ت ، ص ١٦٥ .

[٢] عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٨ .

[٣] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٣٢ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٥ ؛ ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٦٧ ؛ وراجع أيضاً : عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ٢٨ .

[٤] حسبما اتفقت معظم المصادر أن سمية أم زياد كانت بغياً من بغايا العرب وكان لها زوج اسمه عبيد فاتفق أن أبا سفيان وهو أبو معاوية نزل بخمار يقال له أبو مريم فطلب منه بغيا فقال له أبو مريم هل لك في سمية ، وكان أبو سفيان يعرفها فقال له هاتها مع الرغم أنها لم تعجبه صفاتها الجسدية ولا نظافتها الشخصية ، رغم ذلك وحسب الروايات فقد واقعها أبو سفيان فعلقت منه بزياد ثم وضعته على فراش زوجها عبيد ، فلما نشأ زياد تأدب وبرع وتقلب في الأعمال فولاه عمر بن الخطاب ، واتفقت المصادر على كفاءته التي أهلته ليكون محل الأنظار، كما أن أبا سفيان كان يدرك ماهية زياد وصلته به ، والغريب أن وصمته كانت معروفة ومعوقة له حيث قال عمرو بن العاص

ذات مرة بخصوصه " لله در هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق العرب بعصاه "، أما معاوية فقد كان شديد العزم على استلحاقه بنسب أبيه للاستفادة من وزنه السياسي ، وقد استدعى معاوية مجلسًا استدعى فيه مجموعة من الشهود على رأسهم أبو مريم الخمار الذى حكى وقعة أبي سفيان مع سمية بكافة تفاصيلها الأمر الذي شكل وصمة أخرى لزياد حتى قال له زياد " مهلاً يا أبا مريم فإنما دُعيت شاهداً ولم تدع شاتماً فاستلحقه معاوية ". انظر: الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢٣٢؛ المسعودي: مروج الذهب،ج٣، ص١٦ والتي تليها؛ ابن الطقطقي: الفخري، ص ٨١ ؛ وراجع أيضاً: الحموي: التاريخ المظفري ، ص ١٩٥ ووفقاً لروايات أخرى أنه من ضمن الشهود زياد بن أسماء الحرمازي، ومالك بن ربيعة السلولي والمنذر بن الزبير بن العوام أن أبا سفيان أخبر أنه ابنه وأن أبا سفيان قال لعلي بن أبي طالب حين ذكر زياد عند عمر بن الخطاب

أما والله لولا خوف شخص يراني يا علي من الأعادي

لبين أمره صخر بن حرب ولم يكن الجمجم عن زياد

ولكني أخاف صروف كف لها نقم ونفي عن بلادي

فقد طالت محاولتي ثقيفاً وتركي فيهم ثمر الفؤاد .

انظر : المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٤ والتي تليها . وشهد له أبو مريم السلولي، وكان في الجاهلية خماراً بالطائف، فشهد أن أبا سفيان وقع على سمية بعد ما كان الحارث قد أعتقها، وشهد رجل من بني المصطلق اسمه يزيد أنه سمع أبا سفيان يقول "إن زياداً من نطفة أقرها في رحم سمية فتم ادعاؤه إياه ثم ولاه البصرة، ولما مات المغيرة جمع له أيضاً ولاية الكوفة وسائر العراق فكان أول من جمع له العراقيين مات بالكوفة ٥٣ هـ / ٦٧٢ م.وكان لسمية ثلاثة أولاد غير زياد فلديها نافع ونفيع وأبو بكرة, وكان لكل واحد منهم أب يدعى به فزياد هو ابن (أبيه) ثم ادعاه معاوية لأبي سفيان ونافع هو ابن الحارث بن كلدة الثقفي ونفيع وأبو بكرة ابنا مسروح .

وحسبما نقل الطبري أن معاوية بن أبي سفيان قال " أما والله لقد علمت العرب أني كنت أعزها في الجاهلية ، وإن الإسلام لم يزدني إلا عزاً ، وأني لم أتكثر بزياد من قلة ، ولم أتعزز به من ذلة ، ولكن عرفت حقاً له فوضعته موضعه " انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ١٩٦٩م ، ج ٥ ، ص ٢١٥ .

وعن زياد ونسبه لأبي سفيان قول ابن مفرغ ، وفيه إشارة إلى ضعف أنسابهم:

ألا أبلغ معاوية بن حرب مغلغلة عن الرجل اليماني

أتغضب أن يقال أبوك عف وترضى أن يقال أبوك زاني

فاشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها ولدت زياداً وصخر من سمية غير دان

انظر ديوان يزيد بن مفرغ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢، ص٨٠، ٢٣٠؛ الطبري: تاريخ الطبري، ج٤، ص٢٣٥؛ الدينوري: الأخبار الطوال، ص٢١٩ والتي تليها؛ ابن قتيبة: المعارف، ص١٩٥؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ١٧؛

ولكن حسب منظور آخر أن لعنة سمية ظلت تلاحقه وزاد عليها لعنة الانتساب لأبي سفيان وحسب تعبير إحدى الباحثات " ويبدو أن زياداً قد تألم كثيراً من احتقار العرب له وهجائهم ليس فقط لأنه ابن أمة بل لادعائه النسب في بني أمية إذ قال " ما هجيت ببيت قط أشد علي من قول يزيد بن مفرغ الحميري :

ففكر ففي ذاك إن فكرت معتبر هل نلت مكرمة إلا بتأمير

عاشت سمية ما عاشت وما علمت أن ابنها من قريش في الجماهير

سبحان من ملك عباد بقدرته لا يدفع الناس محتوم المقادير [1] .

واستمرت لعنة سمية تطارده حتى عند وفاته ، فها هو الطبري يؤرخ لأحداث سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م وهو عام وفاة زياد بقوله " وفيها كلنت وفاة زياد بن سمية "[2] ، كما خيمت ظلال الوصمة على أبناء زياد بن أبيه ، فلما مات زياد تولى البصرة ابنه عبيد الله أما ابنه الثاني عباد فكان واليا على خرسان، وكان الشاعر الأموي ابن مفرّغ يصدح بالأشعار الهجائية ضدهم في الطرقات وفي كل مكان يمر دون خوف من رد الفعل ، وكان عباد هذا طويل اللحية عريضها فمر ذات يوم في موكبه فرآه ابن مفرغ، ورأى كثرة للناس من حوله يجلونه ويوقّرونه، بينما هو كان ينظر إلى عباد بعين السخرية والتهكم، كان يشعر بالحيف وهو يرى هذا المشكوك في نسبه يلاقي مثل هذا التوقير والتبجيل من الناس، فلما أصاب الجند الذين مع عباد ضيق في علوفات دوابهم قال ابن مفرغ:

ألا ليت اللحى كانت حشيشاً فنعلفها خيول المسلمين [3].

وبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فأمر بالقبض عليه وسجنه وبالغ في تعذيبه حتى لأنه أمر أن يُسقى ابن مفرّغ (التربذ) وهو شراب مُسهل مع النبيذ ، وإمعاناً في إذلاله فقد أمر بأن يركب على بعير وتُربط به خنزيرة ويُطاف به في أزقة البصرة وأسواقها فآلمه بطنه ألماً شديداً، فكان يسيل ما يخرج منه على الخنزيرة ، والطريف أن ابن مفرغ وهو على حالته المزرية هذه كان

ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٨١؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم عزب وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ج١، ص ٢٢٨ والتي تليها .

[1] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب بالمغلوبة ، ص ٢١٧ والأبيات في : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٦ ، ص١٤٣ .

[2] تاريخ الرسل والملوك ، ج ٥ ، ص ٢٨٨ .

[3] ديوان يزيد بن مفرغ، ص ٥ ؛ الطبري: تاريخ، ج ٦ ، ص ١٧٧ .

يهجو سمية وزيادا ويسخر من أبنائه عبيد الله وعباداً ويشبه سمية بالحنزيرة فكلما صاحت الخنزيرة قال ابن مفرّغ والناس يصيحون من خلفه:

ضجت سمية لما مسها القرن لا تجزعي إن شر الشيمة الجزع [١].

الوصمة وحوادث الصراع السياسي :

وأمه هند آكلة الأكباد

عبد الله بن الزبير ،،،

جرت العادة في الصراع السياسي، أن يبحث كل فريق عما يرفع من شأنه وفي نفس الوقت يقلل من شأن الآخر الذي يشكل خصماً أو منافساً ، وتظل إشكالية التفاخر بين الكيانات السياسية قريبة الشبه من ذلك الذي كان يحدث في الجاهلية بين القبائل العربية ، فكانت النعرة والعصبية القبلية والتفاخر والتنابذ هي العناصر السائدة في ذلك الصراع ، وتعدد المذاهب والفرق الدينية مابين الشيعة والسنة، فضلاً عن العصبية والتفاخر بالأنساب والحط من شأن الأطراف الأخرى .

فعلى سبيل المثال نُسبت رواية لعلي بن أبي طالب – ورغم عدم وجود أي دليل عليها – إلا أنه لا يمكن التغافل عن دلالتها في جدلية الصراع السياسي، فقد قيل لعلي بن أبي طالب أخبرنا عنكم وعن بني أمية فقال : بنو أمية أغدر وأمكر وأفجر ونحن أصبح وأفصح وأسمح[٢] .

كما كانت الوصمة تلاحق من وقف على الحياد في أي صراع سياسي، فنجد عمرو بن العاص اتهم من اعتزل الصراع والحروب إبان "صراع علي ومعاوية" فوصفهم بأنهم شرار الناس[٣] ، وعلى الجانب الآخر لم يتناس البعض لعمرو بن العاص موقفه من الصراع السياسي بين على بن أبى طالب ومعاوية بن أبي سفيان، فنقلت بعض الروايات ما تعرض له من سباب ومعايرة ومحاولة

---

[١] ديوان يزيد بن مفرغ، ص ١٤٩ .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ .

[٣] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢١٢ .

وصمه من جهة الأم، وهى مواقف لا يمكن قراءتها بمعزل عن حالة الانشقاق والصراع السياسي الحادث في تلك الفترة[١].

كما كان موقف الحسن بن علي المسالم بالتنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان في عام الجماعة سنة ٤١هـ / ٦٦١م أثر بالغ على سخط شيعة الكوفة حتى انقلبوا على الحسن معايرة ووصماً وتجاوزاً ، فاتفقوا على تعييبه حتى أطلقوا عليه "مذل أمير المؤمنين" بدلاً من أمير المؤمنين، وأطلقوا عليه أيضاً "عار المؤمنين" و"مسود وجوه المؤمنين"، وعندما كانوا يقولون له "يا عار المؤمنين"، كان يقول لهم: العار خير من النار ، وعندما كانوا يقولون له "يا مذل المؤمنين"، كان يقول لهم: لست مذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك[٢]، وزادوا في الطعن على الحسن وخالفوه، ورجعوا عن إمامته[٣].

وفي سياق استحضار الوصمة في حوادث الصراع السياسي فقد كانت حالة التنابذ وإستحضار التاريخ حاضرة بوضوح في جدلية التراشق والصراع السياسي في تلك الفترة وتجلت ملامح واضحة لهذه الظاهرة في الحرب الكلامية بين معاوية بن أبي سفيان وقيس بن سعد بن عبادة، فكلاهما كان يلاحق الآخر بما يسيء إليه وإلى عشيرته ، وتفصيل ما جرى بين معاوية وقيس بن سعد بن عبادة الذي كان عاملاً لعلي بن أبي طالب على مصر، أن معاوية كتب إليه: "أما بعد فإنك يهودي ابن يهودي، إن ظفر أحب الفريقين إليك عز لك واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك" ... فرد عليه قيس بن سعد قائلاً " أما بعد فإنما أنت وثني ابن وثني، دخلت في الإسلام كرهاً وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك ولم يحدث نفاقك" [٤]، وإلحاقاً بالنص السابق فقد استكمل قيس بن سعد كتابه لمعاوية قائلاً " وزعمت أني يهودي ابن يهودي، ولقد علمت وعلم الناس أني وأبي من أنصار الدين الذي خرجت منه وأعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه والسلام"[٥].

---

[١] للوقوف على القذف اللفظي شديد الوطأة من أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لعمرو بن العاص راجع: أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ٢٣٣ والتي تليها .

[٢] الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٣٢ ؛ المالكي: العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محمد جميل مغازي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٠٥ ؛ الذهبي : دول الإسلام ، تحقيق : فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ ، ج١ ، ص ٣٤ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٥٣.

[٣] النوبختي: فرق الشيعة وبه زيادات من القمى ، تحقيق: عبدالمنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ ، ص ٣٦.

[٤] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٥ والتي تليها ؛ الأصفهاني : مقاتل الطالبيين، ج١، ص ٦٦ .

[٥] الأصفهاني : مقاتل الطالبيين، ج١، ص ٦٦ .

وتبقى معايرة قيس بن سعد لمعاوية على أنه دخل الإسلام كرها ، لأنه كان هو وأبوه ممن دخلوا الإسلام ضمن المؤلفة قلوبهم، وأنه كان من الطلقاء عقب فتح مكة[١].

هذا وقد وصل التراشق بين قيس ومعاوية إلى ذروته فنجد قيس يصف معاوية بأنه طاغوت من طواغيت إبليس بقوله: "وتأمرني بالدخول في طاعتك؟ .. طاعة أبعد الناس من هذا الأمر وأقولهم للزور وأضلّهم سبيلا وأبعدهم من الله عز وجل ورسوله وسيلة ، وإمعاناً في الوصم قال له " ولد ضالين مُضلِين طاغوتٌ من طواغيت إبليس"[٢].

ولا شك أن مادار بين معاوية بن أبي سفيان ووقيس بن سعد يعد أنموذجًا لذلك التراشق بين القوى السياسية الحاكمة آنذاك ، وظهور الوصمة كلاعب أساسي في هذا التراشق، ومن الواضح أن قيس بن سعد لم يتطرق في حديثه لإظهار وصمة الأم التي كان يعاني منها الخليفة معاوية، بل كان جل تركيزه على وصمة أخرى تجلت في طريقة التحاق معاوية بالإسلام وحقيقة إيمانه. وهي بلاشك أشد وطأة، فراح كل منهما يطعن في إسلام الآخر.

ووفقاً لشواهد أخرى تتمحور حول ذات السياق فقد استخدم عبد الله بن الزبير لفظ " ابن هند " للحديث عن معاوية بن أبي سفيان [٣] ، وفي إطار آخر استخدم عبد الله بن الزبير مناقبه في وصم معاوية بن أبي سفيان " أتعلمون أن أبي حواري رسول الله صلعم وأن أباه أبا سفيان حارب رسول الله ، وأن أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأمه هند آكلة الأكباد ، وجدي الصديق وجده المشدوخ ببدر ورأس الكفر ، وعمتي خديجة ذات الخطر والحسب وعمته أم جميل حمالة الحطب ، وجدتي صفية وجدته حمامه ، وزوج عمتي خير ولد آدم محمد عليه الصلاة والسلام وزج عمته شر ولد آدم أبو لهب سيصلى نار ذات لهب ، وخالتي عائشة أم المؤمنين وخالته أشقى الأشقين ، وأنا عبد الله وهو معاوية ، ولم يصمت معاوية على ذلك بل كان رده أيضاً يدور حول إطار الفخر بنفسه والحط من عبد الله بن الزبير وقد طال رده ويمكن أن نقتطف بعضاً منه فعلى سبيل المثال قال له " فنحن الأرباب وأنتم الأذناب .... ، وأما هند فكانت امرأة من قريش في الجاهلية عظيمة الخطر ، وفي الإسلام كريمة الخبر ... وما كان أبوك المرهوب جانبه .. "[٤] ، وفي نفس المعنى

---

[١] سيرة ابن هشام، ج٢، ص ٤٩٢ □ ٤٩٣.

[٢] الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص٥٥٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى ، ج١، ص١٣١.

[٣] الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، تحقيق : سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ ، ص ٤١٧ .

[٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١٠١ والتي تليها .

فقد كان عبد الله بن الزبير يسميه السكير الخمير وأخرج عامله عن مكة وكتب إلى أهل المدينة ينتقصه ويذكر فسوقه ... " [١] .

أما المختار بن أبي عبيد الله الثقفي [٢] فلم تقتصر النصوص على وصفه بالكذاب[٣] بل تداخلت في نواياه ويكفي وصف أبي الفدا له حين قال: " ولم تكن نوايا المختار جميلة " [٤]. أي أنه كان متقلب المزاج والهوى والولاء، وذكر آخرون أنه كان متلوناً كاذباً، بل كان اللقب الأشهر له في الكتابات المضادة أنه الكذاب المدعي النبوة الذي يربط أصحابه بالمحال والكذب، ذلك الرجل المخادع الذي يحتال في استمالة الناس بضروب الحيل، كان يدعي المعجزات ويزعم أن جبريل يأتيه بالوحي، وأنه لم يكن سوى رجل سلطوي محب للسلطة مُدعٍ للتشيع، وكان مستعداً للكذب والنفاق وادعاء النبوة بل والألوهية والتقلب من صديق إلى عدو ومن عدو إلى صديق إذا كان ذلك يساعده على تحقيق مآربه[٥].

السلطة والمعارضة وجدلية استحضار المعايرة والوصمة:

أ/ السلطة واستدعاء المعايرة والوصمة ضد المعارضة:

---

[١] المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٧٩ .

[٢] من أكثر الشخصيات صعوبة وتعقيداً والتي يمكن أن تتعامل معها كباحث هي شخصية المختار ، فلا يوجد اتفاق حول تقييمه ، فعلى حين تجد من يلعنه ويكفره ويصفه بالكذب والإلحاد ، تجد من يمجده ويضفي عليه هالات العظمة والتقديس ، أسس الفرقة الكيسانية ، ومارس العديد من التحولات السياسية وإن كانت أبرز أدواره المشاركة في الأخذ بثأر الحسين ، وقُتل في ١٤ رمضان عام ٦٧هـ / ٦٨٧م وكان يبلغ من العمر سبعة وستين عاماً وحول حركة المختار بشكل تفصيلي وإشكاليات الجدل التاريخي حول تقييم المختار راجع : محمد فياض : فرق الشيعة بين النشأة والتطور والعمل السياسي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، ص ٣٣ : ص ١٢٦ .

[٣] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٢٢ .

[٤] المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ص ٢٤٢ .

[٥] الداعي إدريس عماد الدين : عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، السبع الرابع ، بيروت ، د. ت، ص ١٧٦، ١٨٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د. ت .، جـ ٨، ص ٢٨٩ □ ٢٩٣؛ المقدسي: البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت ، جـ ٦، ص ٢٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠ ، جـ ٥، ص ٥٢؛ البغدادي: الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ، د . ت ، ص ٦٦؛ أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ ٢، والجزء بعنوان : الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها " جـ٢ من موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩ ، ص ٢٠٥، ص ٢٠٨؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية " دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ ، ص ٧ ؛ محمد فياض : فرق الشيعة ، ص ٨٣ .

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته

يزيد بن معاوية ،،،

وظفت السلطة الوصمة كأداة سياسية في الحكم والإدارة ، وكان مجرد الانتماء لمعسكر المعارضة أو عدم الرضا عن سياسات السلطة الأموية كفيلاً بإطلاق آلة دعائية ضخمة من الوصوم التي من شأنها إلحاق عار اجتماعي كبير طعناً في السمعة والذمة والدين، واستحضار لأحداث خلت في الماضي ، وفي الواقع فقد تمحورت معظم حوادث الصراع السياسي في العصر الأموي حول أحقية الخلافة ، وحتى من قبل العصر الأموي وتحديداً مع أحداث موقعة صفين ومسألة التحكيم التي نتج عنها انقسامات ومذاهب سياسية ودينية قسمت المجتمع ، وصار كل فريق يترصد نقائص الآخر، ويقدح في أصوله العرقية والدينية. وأصبحت القاعدة تنسحب من الجزء إلى الكل، بحيث أن وصم فرقة أو جماعة في بلد ما يطال جميع أهل هذا البلد، فنجد على سبيل المثال معاوية بن أبي سفيان يكتب إلى الحسن بن علي قائلاً له " فاحذر أن تكون منيتك على يد رعاع من الناس"[١] ، ولم ينس معاوية في وصيته لابنه يزيد إلحاق بعض الأوصاف السلبية بعبد الله بن الزبير قائلا له " ... وأما ابن الزبير فإنه خب ضب " أي مراوغ خداع [٢] .

وفي ذات السياق، كانت المعايرة بالإيمان، من الأوراق المهمة التي استخدمتها السلطة في محاربة المعارضة والخصوم السياسيين، ومحاولة تجريدهم من الانتماء للإسلام للنيل منهم وهو الأمر الذي اتبعه الخليفة يزيد بن معاوية مع عبد الله بن الزبير، حيث وصمه بالإلحاد، فعندما عرض عبد الله بن الزبير على عبد الله بن عباس أن يبايعه وامتنع الأخير، ترامت أخبار تلك الواقعة إلى يزيد بن معاوية فسره ذلك ظنا منه أن امتناعه تمسك منه ببيعته هو فكتب إلى عبد الله بن عباس: " أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته .... "[٣].

وفي إطار الصراع بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث فعندما أُسر أحد أتباع ابن الأشعث ويدعى " ابن القربة " من جملة من تم أسره قال له الحجاج يا ابن اللخناء [٤] كان قلبك منافقاً

---

[١] الأصفهاني : مقاتل الطالبيين ، ج١ ، ص ٥٩ .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١٧٥ .

[٣] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، دار صعب □ دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج٢ ، ص ٢٤٧ ؛ ابن الأثير: الكامل، ج٤، ص١٢٧.

[٤] المرأة التي نتنت أرفاغها . انظر : حاشية ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .

ولسانك مدامجاً، فكتمت أمراً أظهره الله وأطعت فاسقاً خذله الله [١] كما وصف الحجاج أسرى الخوارج بالجيف [٢] ، بالإضافة إلى ما سبق فقد استحضر الخليفة عبد الملك بن مروان الماضي السياسي لبعض الآباء في معايرة الأبناء ، فها هو عبد الملك بن مروان يقول لابن شهاب الزهري " لقد كان أبوك وعمك نعاقين – أي مؤلبين الناس ومحمسينهم – في فتنة ابن الأشعث فرد عليه بقوله "يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب " [٣] .

ب / المعارضة واستخدام الوصمة ضد السلطة :

وقد وليكم الطليق ابن الطليق

قيس بن سعد بن عبادة ،،،

لم تكن المعارضة بأقل استخداماً للوصمة في جدلية الصراع السياسي القائم في العصر الأموي ، والشواهد على ذلك كثيرة ، فحسب أحد المصادر فقد نُسب القول التالي للحسن البصري حيث قال فيه " أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة : انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم ، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادعاؤه زياداً " [٤] ، وقد كانت العرب تحتقر الأدعياء [٥] .

وكيفما يكن من أمر فقد كانت الوصمة والمعايرة حاضرة دائما على طاولة المناظرات السياسية، كما تم استحضار بعض الألفاظ التي تنم عن معايرة في بعض حالات المعارضة السياسية، فقد نقلت بعض الروايات موقف قيس بن سعد بن عبادة من بيعة معاوية بن أبي سفيان

وفقاً لإحدى الروايات أن الحجاج لما أتى بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقتلهم فقال رجل أصلح الله الأمير إن لي حرمة قال وما هي قال ذكرت في عسكر ابن الأشعث فشتمت في أبويك ، فعرضت دونهما ، فقلت لا والله ما في نسبه مطعن فقولوا فيه ودعوا نسبه " . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

[١] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٢٧ .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ومن الواضح أن الحجاج بالغ في إحتقار الخوارج ، وأنهم كانوا بالنسبة له مجرد جيف وهو وصف يعكس رؤية صاحب السلطة المنتصر لبعض عناصر المعارضة ، فضلاً عن توظيفه الدائم للوصم خلال سب أم المُخاطب ووصمها بأقذع الألفاظ .

[٣] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٢ ، ص ١٩ والتي تليها ، ج٢ ، ص ٩٥ والتي تليها .

[٤] الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، ص ٤٦٠ .

[٥] شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب بالمغلوبة ، ص ٢١٤ .

والتي عبرت عن حالة من حالات الاستياء حتى أنه أعلن عن ذلك لبعض المجموعات معبراً عن حنقه من بيعة معاوية واصـــفاً " وقد وليكم الطليق ابن الطليق .... "[١] أي أن معاوية وأباه كانا من الطلقاء الذين أسـلموا عشـية فتح مكة كما تقدم ، وقد تبين مما سـبق أن المعايرة والتراشـق بالوصمة كان قد بلغ ذروته بين الرجلين. كما كانت المعايرة الأكثر حضوراً في سياق معارضة ووصم معاوية بن أبى سفيان مناداته وتسميته ب " ابن آكلة الأكباد "[٢].

وفي ذات السياق فقد كان استحضار المعارضة للمعايرة واستدعاء الوصمة بالغ الوضوح في حالة يزيد بن معاوية، فقد مورست حالة دعائية ضخمة لتشويه صورته[٣]، فعلى سبيل المثال نســـبت بعض الروليات لعبد الله بن عمر موقفه الحاد من بيعة يزيد بن معاوية للذي أعلن عن استيائه المُفعم بوصمة يزيد متسائلاً باستنكار " نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر، ويُظهر الفســـوق ...." [٤] ، أو حســـب روايات أخرى أنه كان " ســـكيراً خميراً يلبس الحرير ويضـرب بالطنابير" [٥] ، وفي روايات أخرى أنه كان فاسـقًا يلعب بالكلاب والفهود [٦] حتى أنهم كانوا يسمونه " يزيد الخمور أو يزيد الخليع " [٧] ، أو أنه كان يتعاطى بعض الفواحش من شرب الخمر والتغافل عن بعض الصلوات وغير ذلك [٨] .

---

[١] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢١٦ .

[٢] اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢١٨ ؛ الحموي : التاريخ المظفري ، ص ١٩٥ .

[٣] من الجدير بالذكر فقد حاول معاوية بن أبي سفيان اتخاذ بعض السياسات الشعبية التي قد تُظهر يزيد ابنه بمظهر القوي الشخصية لمواجهة الدعايا المضادة، لذا قرر تدشين إجراءات دعائية له عن طريق الجهاد، ولذلك وجهه بقيادة جيش للجهاد على الجانب البيزنطي، وذلك لمساندة الجيش الإسلامي الموجود هناك بقيادة سفيان بن عوف، واشترك مع يزيد في هذا الجيش بل وتحت قيادته خيرة الصحابة أمثال أبو أيوب الأنصاري، والغريب جداً أن الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير قد شاركا في هذا الجيش كجنود تحت إمرة يزيد بن معاوية، وبالفعل أردف هذا الجيش فغزا حتى بلغ القسطنطينية في ظروف صعبة، كان الجيش الأول يعاني منها هناك من انتشار الحمى والجدري وغير ذلك، وكان ذلك تسويقاً من معاوية ليزيد أمام الرأي العام الإسلامي آنذاك، فأرادوه بذلك أن يحرز مكسباً أدبياً يرفع من شأنه ويمحو ما تواتر عنه من تهاون . اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص ٢٢٩؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣ ، ص ٣٥٢؛ محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة الأموية، ص ٢٧.

[٤] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٢٨ .

[٥] أبي الفدا : المختصر ، ج١ ، ص ٢٣٠ .

[٦] الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٠١ .

[٧] عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ص ٦٣ .

[٨] ابن العز الحنفي : شرح القصيدة اللامية ، ص ٩٧ .

وحسبما نقل اليعقوبي الذي ربما يكون قد تأثر بانتمائه الشيعي رسالة منسوبة لعبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية كان استحضار الوصمة حاضراً في سطورها وقد كانت هذه الوصمة خاصة بتلك القضية وهي قضية استلحاق نسب زياد بن أبيه حيث ورد في سطور الرسالة : " " فلست بناس تسليطك الدعي العاهر ابن العاهر البعيد رحماً اللئيم أباً وأماً، الذي في ادعاء أبيك إياه ما اكتسب به أبوك به إلا العار والخزي والمذلة في الآخرة والأولى، وفي الممات والمحيا، إن نبي الله قال الولد للفراش وللعاهر الحجر، فألحقه بأبيه كما يُلحق بالعفيف النقي ولده الرشيد، وقد أمات أبوك السنة جهلاً، وأحيا البدع والأحداث المضلة عمداً"[١].

كما وردت أيضاً إشارات تتعلق بالخليفة معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ / ٦٨٤م) في نص المسعودي الشيعي مفادها أنه عندما بويع كان يكنى أبا عبد الرحمن كني بعدها أبا ليلى تقريعاً لعجزه عن القيام بالأمر ، وكانت العرب تفعل ذلك بالعاجز من الرجال وفيه قال الشاعر :

إني أرى فتنة تغلي مراجلها والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا [٢]

وحسب نصوص أخرى أرخت لكتاب عبد الملك بن مروان إلى محمد بن الحنفية قائلاً له فيه : من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن الحنفية ، فلما نظر إلى عنوان الصحيفة استرجع وقال : تسلط الطلقاء ولعناء رسول الله صلعم على سائر الناس والذي نفسي بيده إنها لأمور لا يقر قراراها [٣] .

وفي بعض الأحيان كان الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ / ٧٠٥- ٧١٥م) يُلقب بلقب " المنتقم "[٤] وفي بعض الأحيان بالمخلوع[٥] ، أما يزيد بن عبد الملك فقد وصفته بعض الروايات أنه كان "خليع بني أمية"[٦]، ووصفته روايات ثانية بأنه كان ماجناً سفيهاً[٧]، ووصفته نصوص

---

[١] تاريخ اليعقوبي ، ج٢ ، ص ٢٤٨ .

[٢] التنبيه والإشراف ، ص ٢٨١ .

[٣] المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٤٩ .

[٤] مغلطاى : مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق : آسيا كليبان على البارح ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ ، ص ٩٥ .

[٥] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٦٠ .

[٦] الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٣٢٩ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٩٥ .

[٧] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٦٤ ؛ طه الحاجري : مقدمة تحقيقه لكتاب البخلاء للجاحظ ، ص ٣١ .

ثالثة بالأوصـــاف التالية " يزيد الماجن"، وأنه كان "شـــديد الكبر، عاجزاً"، وأنه "صـــاحب لهو ولذات"[١]، رغم نفي نصوص تاريخية أخرى تلك التهم جملة وتفصيلاً عنه[٢] .

وارتباطاً بذات الطرح فيمكن استحضار خطبة أبي حمزة المختار بن عوف الخارجي الذي أعلن تمرده في نهاية العصر الأموي في الحجاز ، هذه الخطبة تنطبق بوضوح على هذه الإشكالية فقد حشد حزمة من النقائص وهو ما يمكن أن نناقشه تحت إطار استحضار الوصمة في الصراع السياسي ، لقد حشد أبو حمزة هذه النقائص وعطفها على معظم خلفاء الدولة الأموية على النحو التالي:

" ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله وابن لعينه ... ثم ولي يزيد بن معاوية يزيد الخمور ، ويزيد القرود ، ويزيد الفهود ، الفاسق في بطنه ، المأبون في فرجه ... ثم ولي مروان بن الحكم طريد لعين رسول الله وابن لعينه ، فاسق بطنه وفرجه ، ثم تداولها بنو مروان بعده ، أهل بيت اللعن ، طرداء بيت رسول الله " ... حتى عمر بن عبد العزيز فقال " وقد ولى منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد ، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله ، ثم ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق في دينه المأبون في فرجه ... " [٣] .

جدلية الصراع السياسي ووصم المدن وسكانها:

انعكست جدلية الصراع السياسي على وصم المدن [٤] نتيجها للانتماء المذهبي أو السياسي أو في تاريخ تجربة المدينة مع السلطة أو المعارضة والأمثلة متعددة على هذا الطرح ، تتبدى لنا بعض الأمثلة على الخطاب السياسي للسلطة في وصم المدن المعارضة فقد خطب معاوية بن أبي

---

[١] ابن العز الحنفي : القصيدة اللامية في شرح خلفاء الدولة الإسلامية ، ص ١٣٦ .

[٢] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٣ والتي تليها .

[٣] باتريشيا كرون ، مارتن هيندز : خليفة الله " السلطة الدينية في العصور الإسلامية الأولى ، ترجمة : أحمد طلعت ، مراجعة : مارتن هيندز ، جسور للترجمة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٧ ؛ وكذا راجع : فان فلوتن : السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، محمد زكي ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٤٤ .

[٤] إبان الدعوة العباسية قال محمد بن عبد الله لدعاته أوصاف بعض الأمصار من وجهة نظره تحمل شكلًا من أشكال الوصم – وهي أوصاف قد لا يكون بعضها وصمًا حسب وجهات نظر أخرى – وممكن أن نستحضر بعض هذه الملامح على النحو التالي " أما الكوفة وسوادها فشيعة علي ... أما الجزيرة فحرورية صادقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى أما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية وعداوة راسخة وجهل متراكم .... " انظر : المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ ، ص ٣١٣ والتي تليها .

سفيان في أهل المدينة قائلاً " يا أهل المدينة إني لست أحب أن تكونوا خلقاً كخلق العراق يعيبون الشيء وهم فيه ، كل امريء منهم شيعة نفسه .... " [١] .

وتندرج هذه الحالة هنا في وصف العلاقة بين الحسن وأنصاره في الكوفة فقد وصلت إلى درجة من فقدان الثقة بين الطرفين، فلم يعد يثق بهم بعدما فعلوه بأبيه في صفين وبعد أن تخاذلوا وكرهوا القتال، وقد وجه إليهم اتهاما صريحا لتخاذلهم في نصرة أبيه قائلا: " يا أهل العراق، إنه سخي بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي"[٢] ، وعندما سُئل عن سبب تنازله عن الخلافة لمعاوية قال: " كرهت الدنيا، ورأيت أهل الكوفة قوما لايثق بهم أحد أبدا إلا غلب، وليس أحد منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين، لا نية لهم في خير ولاشر، لقد لقي أبي منهم أمورا عظاما...." [٣].

وفي ذات الإطار فقدقام عبد الله بن الزبير بتولية عبد الله بن مطيع أمر الكوفة، وعبد الله بن مطيع ليس غريباً عن اللعبة بل كان مدركاً لأصولها وقواعدها، فلو تذكرنا لوجدنا أن ابن مطيع كان من أوائل الذين حذروا الحسين بن علي من الخروج للكوفة فقال له "إياك والكوفة فإنها بلد مشئومة بها قتل أبوك وبها خذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه "[٤]. ولا شك أن الكوفة كانت الأكثر تعرضا من غيرها من المدن لمثل هذه التهم، وذلك لأنها شهدت العديد من الوقائع والأحداث مع علي بن أبي طالب وبنيه من بعده. فوصمت بأنها بلد مشئومة وأهلها مشائيم، وهو من أصعب التهم التي لحقت بالمدينة وأهلها. فكان محمد الباقر أيضاً – أخو زيد – يحذر أخاه ويطالبه بعدم الاستماع لشيعة الكوفة قائلاً له: "إنهم أهل غدر ومكر". فلما أصر زيد على موقفه قال له: "إني أخاف عليك يا أخي أن تكون غدا المصلوبَ بكُنَاسة الكوفة "[٥] وتقول الرواية إن زيد بن علي اتجه إلى الكوفة، فلحقه المشائيم – يعني أهل الكوفة – فردوه وبايعوه"[٦].

---

[١] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١٧١ .

[٢] الطبري: تاريخ الطبري، ج٦، ص ٩٢؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٣، ص٤٠٥؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٣٣٩- ٣٤٠.

[٣] ابن الأثير : الكامل ، ج٣، ص٤٠٧؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية، ٢٤٠.

[٤] الدينوري: الأخبار الطوال، ص ٢٢٨ والتي تليها؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، مصورة عن طبعة بولاق الأولى ، جـ ٣، ص ٢١.

[٥] المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ٢١٧.

[٦] الطبري: تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٤، ص ١٩٧.

وفي ذات الإطار فلما بلغ عبد الله بن الزبير قتل مصعب أخيه صعد المنبر وجلس عليه وخطب خطبة قال فيها " ... أسلمه الطغام ، الصم الآذان ، أهل العراق " [١] .

وكذلك فلما أرادت سكينة بنت الحسين بن علي الرحيل من الكوفة إلى المدينة بعد قتل زوجها مصعب حف بها أهل الكوفة وقالوا أحسن الله صحابتك يا ابنة رسول الله فقالت " لا جزاكم الله خيراً من قوم ، ولا أحسن الخلافة عليكم ، قتلتم أبي وجدي وأخي وعمي وزوجي ، أيتمتموني صغيرة ، وأيتمتموني كبيرة ، ولما دخل عبد الملك بن مروان الكوفة بعد مقتل مصعب أقبل إليه جماعة فقال من هؤلاء ؟ قالوا أمراؤك أهل الكوفة فقال : قتلة عثمان وقتلة علي [٢] .

وكذلك فعل الحجاج بن يوسف الثقفي حينما خطب على منبر الكوفة قائلا: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق [٣] ، وتكرر نفس الأمر لما ولي يزيد بن عبد الملك قال له العباس بن الوليد " إن العراق قوم إرجاف " [٤] .

وعودة لوصوم الحجاج القاسية والقبيحة تجاه العراق فهم دائما كما يرى في شقاق وخلاف، لاتتوحد كلمتهم فلا يعتمد عليهم، فهم منافقون يقولون مالا يفعلون ، ويغلب عليهم سوء الخلق. ويستطرد قائلا: يا أهل العراق طالما سعيتم في الضلالة وسلكتم طرق الغواية وسننتم سنن السوء وتماديتم في الجهالة يا عبيد العصا وأولاد الإماء [٥] يابني اللكيعة – الحمقاء من الإماء – وعبيد العصا وأبناء الإماء [٦]. فهل كل هذه الأوصاف المسيئة تنطبق على جميع أهل العراق أم أنه

---

[١] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ١٦٠ .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ٢٧٧ .

[٣] الزبير بن بكار : الأخبار الموفقيات ، ص ٩٦ ؛ الطبري: تاريخ الطبري، ج٧ ، ص٢١٢؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٣٤ ؛ الجاحظ : البيان والتبين ، تحقيق: عبدالسلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣ ،ج٢، ص٩٤؛ الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٤١ .

[٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ١٨٨ .

[٥] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٣٥ .

[٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٠٤ الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٤١ .

وحسب نصوص أخرى فقد استكمل الحجاج خطبته قائلاً " يا أهل العراق والكفرات بعد الفجرات ، والغدرات بعد الخترات ، والنزوة بعد النزوات ، إن بعثتم إلى ثغوركم غللتم وخنتم ، وإن أمنتم أرجفتم ، وإن خفتم نافقتم ، لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٢٠٥ ، وتعقيبا على خطبة الحجاج يقول الجاحظ في موقف أهل العراق : "العلة في عصيان أهل العراق على الأمراء وطاعة أهل الشام أن أهل العراق أهل نظر وذوو فطن ثاقبة، ومع الفطنة والنظر يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال، والتمييز بين الرؤساء، وإظهار عيوب الأمراء. وأهل الشام ذوو بلادة وتقليد

قصد بعضهم، وهم خصومه السياسيون وأراد أن يخضع الجميع ويرهبهم حتى لا يشقوا عصا الطاعة ، ولا يعني ذلك أن أهل العراق ينطبق عليهم هذا الوصف، فقد سكنها العديد من الصحابة وأهل العلم والفقه والدين، فهو بلا شك يمعن في محاربة خصومه وإرهابهم حتى يفرض سطوته على البلاد من بداية ولايته على العراق ، وأن كل هذه الوصوم لم تكن إلا نتاج عصبيات مذهبية أفرزها الواقع السياسي والمذهبي وحالة الاستقطاب الحادثة آنذاك .

وصمة الشكل والسمات والجسدية :

لطالما كان يتم استحضار السمات والأوصاف الشخصية في جدلية المعايرة والوصمة بل كان يتم استخدامها للتدليل على الانتقاص من قدر الرجل وقيمته ، والإشارات على ذلك متعددة ، فتطالعنا المصادر التاريخية أيضا ببعض النصوص التي تظهر الوصمة بالعاهة أو العيب أو المرض، فكان هناك ثلاثة رجال مكافيف هم عبد الله بن عباس وأبوه العباس بن عبد المطلب وأبوه عبد المطلب بن هاشم ولذلك قال معاوية لابن عباس أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال ابن عباس وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم[١]. وفي رواية ابن عبد ربه: "دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره، فأجلسه معاوية على سريره ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم!. قال: و أنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم!"[٢]

حتى معاوية نفسه فقد وُصف بصفات شكلية متعددة منها أنه كان جاحظ العينين [٣] ، كما أن يزيد بن معاوية كان مجدوراً – أي بوجهه آثار مرض الجدري الذي أصابه من قبل[٤]. مما جعله عرضة لما يعرف اليوم بالتنمر .

وجمود على رأى واحد، لا يرون النظر، ولا يسألون عن مغيب الأحوال. وما زال العراق موصوفا أهله بقلة الطاعة، وبالشقاق على أولى الرئاسة." الجاحظ : البيان والتبيين،ج٢، ص١٣٧ .

[١] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٥٨٩ .

[٢] العقد الفريد ، ج٤ ، ص ٩١.

[٣] المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٧٧ .

[٤] ابن العز الحنفي : شرح القصيدة اللامية في تاريخ خلفاء الدولة الإسلامية، ص ٩٥.

"وكان يزيد– لما هلك أبوه– بناحية حمص فتلقوه إلى الثنية وهو بين أخواله على بختي ليس عليه عمامة ولا سيف . وكان ضخما كثير الشعر ، شديد الأدمة ، بوجهه أثر جدري . فقال الناس : هذا الأعرابي الذي ولي أمر الأمة.". الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ، ص ٣٦ □ ٣٧.

بالإضافة إلى ما سبق فقد صنف بعض المؤرخين وأبرزهم ابن قتيبة فصولاً عن السمات الشخصية التي تم وصفها بالنقص مثل أهل العاهات ، والبرص لدرجة أن أحد أبناء البرصان – يربوع بن حنظلة بن مالك – كان يقال لولده بنو الأبرص [١] ، وكان شمر بن ذي الجوشن أحد قتلة الحسين أبرصا[٢] وقد شبهته بعض الروايات بالكلب الأبقع وأسمته الأبرص الضبابي [٣] .

وفي ذات السياق فقد وُصف عبد الملك بن مروان بأن لثته كانت تدمى فيقع عليها الذباب فكان يلقب أبا الذباب [٤] ، ووصفت نصوص بعض السمات الجسدية التي تم استحضارها كنقيصة ، منها ما وُصف به " الوليد بن عبد الملك " أنه كان " سائل الأنف جداً "[٥] ، أو حسبما وُصف في نصوص أخرى أنه كان أفطس به أثر جدري [٦] .

ومن القادة المشهورين في العصر الأموي الذين تعرضوا للوصمة " مسلمة بن عبد الملك "الذي كان يلقب بالجرادة الصفراء لصفرة كانت تعلوه [٧] وحسب رواية أخرى أن مسلمة وصف بأنه أَفر الجاد كجرادة صفراء ، وقيل أيضاً جرادة مروان [٨] .

وكما كانت الممارسات السياسية تشكل وصمة في حد ذاتها ولكنها وفقاً لاستكمال صناعة الصورة اقترنت بوجود سمات خلقية مثل ما تعلق من أخبار عن الحجاج بن يوسف الثقفي والتي وصفت أفعاله وممارساته بتجاوز كل الحدود الإنسانية رغم ذلك فقد استُكملت صورته بأنه كان "مشوه الخلقة أعمش العينين"[٩]، وفي إحدى المرات عنفه عبد الملك بن مروان واصفاً إياه بقوله " أخفش العينين ممسوح الحاجبين"[١٠]، وبتعبيرات أخرى أخفش العينين، أصك الرجلين، ممسوح

---

[١] المعارف ، ص ٥٧٨ : ص ٥٩٥ ؛ وراجع أيضاً : الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٠٧ .

[٢] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٥٨٢ .

[٣] الجاحظ : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ص ١٢٩ .

[٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ١٤٧ .

[٥] أبي الفدا : المختصر ، ج١ ، ص ٢٤٨ .

[٦] المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٩٠ .

[٧] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٥٨ .

[٨] الجاحظ : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ج١ ، ص ١٥٤ .

[٩] ابن العمراني : الإنباء في تاريخ الخلفاء ، ص ٥٠ .

[١٠] الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٢٥١ .

الجاعرتين[١] كما رسمت مصادر أخرى صورة أكثر تشوهاً للحجاج من أنه ولد مشوهاً لا دبر له فثُقب عن دبره[٢].

وحتى بين الأخوة تم لستحضار المعايرة بالصفات الشكلية والجسدية ، فقد بلغ يزيد بن عبد الملك أن أخاه هشام بن عبد الملك ينتقصه ويتمنى موته فكتب إليه قائلاً ... ولعمرى إنك بعدي لواهي الجناح أجذم الكف [٣].

---

[١] الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ص ١١ .

تكررت الإشارات الخاصة باستخدام عبد الملك بن مروان للمعايرة بالشكل، فعلى سبيل المثال وُصف الشاعر كثير بأنه كان دميم الخلقة فقد كان عبد الملك بن مروان يزدريه لدمامته وكان إذا دخل على عبد الملك بن مروان يقول له: طأطىء رأسك لا يؤذيك السقف. انظر : الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٥، ص١٥٢؛ حافظ محمد عباس الشمري: كثير عزة بين ناقديه ومادحيه، مركز الكتاب الأكاديمي ، ٢٠١٤ ، ص ١٧-١٨ ، وقال تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال كثير

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي أثوابه أسد مزير

انظر : الأربلي : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، ص ٣٢ .

وحتى في خطابه السياسي نجد هذا السمت حاضراً لدى عبد الملك بن مروان فقد قدم عبد الملك بن مروان سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م إلي المدينة فصعد المنبر، فحمد الله، وأثني عليه، ثم قال : " أما بعد فلست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ، ولا بالخليفة المداهن -يعني معاوية - ، ولا بالخليفة المأفون يعني يزيد ، ألا وإن من كان قبلي من الولاة كانوا يأكلون ويؤكلون ، وإني والله لا أداريكم إلا بالسيف فمن أحب أن يبدي صفحته فليفعل" . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١٧٨ .

[٢] ترسم المصادر المغايرة أيديوجياً صورة متكاملة التشويه عن الحجاج بن يوسف الثقفي وتحديداً صورته وسماته الشخصية ، وربما ترقى تلك الأخبار إلي شكل من أشكال التراث الشعبي فقد نقل المسعودي أن الحجاج عندما ولد أبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فأعياهم أمره ، فيقال □ حسب رواية المسعودي □ إن الشيطان تصور لهم في صورة الحارث بن كلدة فقال : ماخبركم فقالوا ابن ولد ليوسف من الفارعة وكان اسمها وقد أبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها فقال اذبحوا جدياً أسود وأوغوه دمه ، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك ، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود وألغوه دمه ، ثم اذبحوا له أسود سالخاً فأولغوه دمه واطلوا به وجهه ، فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع ، قال ففعلوا به ذلك فكان بعد لا يصبر على سفك الدماء لما كان منه في بدء أمره . المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٣٢ .

[٣] المسعودي : مروج الذهب، ج٣ ، ص ٢١٣ .

كما تم وصف هشام بن عبد الملك خلقياً من قبل بعض الروايات أنه كان يُعرف بهشام الأحول[١] . فيقول المقريزي: "وكان يقال لهشام: الأحول السراق لأنه "ما زال يدخل عطاء الجند شهراً في شهر حتى أخذ لنفسه مقدار أرزاق سنة" [٢] .

وبهذا جمع بين وصمة الخلقة ووصمة الأخلاق، وإن كانت الأولى أقل وطأة من الثانية فهو لم يصنعها ولم يذهب إليها مختارا بل هو ابتلاء ومرض أصابه، أما السرقة فهي الأشد والأكثر تأثيرا سلبياً عليه وعلى أبنائه لأنه اقترفها بكامل إرادته ، أما عن يزيد بن عبد الملك (١٠١– ١٠٥هـ / ٧٢٠ – ٧٢٤م) فقد وُصف بالأفقم [٣] وكذلك يزيد بن هشام [٤] والأفقم هم من كانت ثناياه العليا نحو الخارج فلا تقع على السفلى .

وفي ذات السياق فقد تم توظيف اللون كنوع من أنواع الوصم بشكل عنصري فعلى سبيل المثال كان يتم وصم البعض بالقول " يا ابن السوداء ... " [٥] ، ووصل من سوء ذلك الأمر أنه

---

[١] كتاب الهيثم بن ضمن كتاب الجاحظ : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص ٥٦٩ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ص ٨٢ ، ص ١٢٩ ؛ ابن العمراني : الإنباء في تايخ الخلفاء ، ص ٥١ ؛ المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٣٥ .

أنشد أحد الشعراء الأمويين ويدعى " أبي النجم العجلي " قائلاً :

الحمد لله الوهوب المجزل ... وهو من أجود شعره حتى انتهى إلى قوله والشمس في الجو كعين الأحول ، وكان هشام أحول فأغضبه ذلك فأمر به فطرد . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

[٢] النزاع والتخاصم، ص٤٠.

[٣] كتاب الهيثم بن عدي ضمن كتاب : الجاحظ : البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ص٥٧٠ .

[٤] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٠٦ .

[٥] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤، ص ١١٦ ، وصفت أم خالد القسري من قِبل بعض خصومه أنها " سوداء قبيحة المنظر رغم أن هذا كانت غير صحيح فقد أجمع معظم من وصفها على أنها رومية ذات عين زرقاء ولون أبيض" انظر : سهيل قاشا : المسيحيون والدولة الأموية ، فصل ملحق على نص ترجمته لكتاب ديونيسيوس المنحول ، ص ٢٨٠ ، ولا يعني هذا العرض من الباحث عنصرية تجاه لون أو عرق بل هو مجرد رصد لأدبيات الناقلة لهذه الواقعة كما أوردتها النصوص والدراسات .

يتعلق هذا الأمر أيضاً بعبد الله بن خازم السلمي يكنى أبا صالح وكان يقال له ابن عجلي، وعجلي أمه وكانت سوداء وهو نفسه كان يعد واحدًا من الفرسان الغربان لأنه أسود، فربما رماه البعض بهذه الوصمة غير أنه يعد واحدًا من الرجال المشهود لهم بالفروسية والنجابة في القتال . انظر : ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤١٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ص٢٢٢.

كان يثير اشـــمئزازهم لو كان الاجتماع معه على طعام ، وتقر إحدى للباحثات لأنه في بعض فترات الدولة الأموية كان اللون الأسود مكروهاً ومقززاً في نظر البعض من العرب [١] .

ولا شك أن هناك من اعتبر هذه العاهة أو الإصابة دافعاً له للنهوض والنجاح معتمدا على ما وهبه الله من ملكات وقدرات خاصة، تعويضا له عن نقص أو فقد في حواسه أو في بدنه، ولعل أكبر مثال على ذلك واحد من كبار العلماء المشاهير في العصر الأموي واصل بن عطاء الذي اســـتغل إتقانه للغة العربية، وبراعته وحفظه لها طريقة للتغلب على اللثغة التي ولد بها ولازمته حتى وفلته ، فقد كانت لثغته ثقيلة جدا، أو كما يقولون: "كان قبيح اللثغة شـــنيعها"[٢] كان ينطق حرف الراء مثل حرف الغين، ومن الطريف لأنه تغلب على ذلك بتجنب نطق الراء بحضـــوره وعلمه وســـرعة بديهته في اختيار الألفاظ الخالية من حرف الراء، ويشـــرح الجاحظ هذا الأمر بقوله " إنه من أجل الحاجة إلى حسن البيان، وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة، رام إسقاط الراء من كلامه، وإخراجها من حروف منطقه، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه، ويناضـله ويسـاجله، ويتأتى لسـتره والراحة من هجنته، حتى انتظم له ما حاول، واتسـق له ما أمل[٣] فعندما أراد أن يذكر البر قال :القمح أو الحنطة وهو يعلم أن لغة من قال بر[٤] ، وهو ما عبر عنه المبرد أيضاً

---

[١] تستدل الباحثة المذكورة على هذا الحكم بحادثة تتعلق باستضافة أحد الغرباء على مائدة طعام وكان الضيف سعيد بن مسحج عامل عبد الملك بن مروان السابق على مكة ، فلما أتوا بالغذاء قال لهم إني رجل أود ولعل فيكم من يقذرني فأنا أجلس وآكل ناحية وقام فاستحيوا منه وبعثوا إليه بمن أكل ، فلما صارو إلى الشراب قال لهم مثل ذلك ففعلوا به لكنه رغم ذلك كان ثقيلاً على القوم . انظر : شافية حداد السلامي : نظرة العرب إلى الشعوب بالمغلوبة ، ص ٤٦٣ ، ولا يمكننا أن نقبل بهذا الحكم المبني على تصرف فردي والتغافل أن الرجل المتقزز منه وصل لدرجة كبيرة من درجات السلطة حتى تم تعيينه في منصب أمير مكة ، ومن الطريف أن البعض من السود تهكم على نفسه في هذا الصدد منهم أبو لامة الذي كان يتفكه على نفسه في ذلك بقوله :

ألا أبلغ إليك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامة

إذا لبس العمامة كان قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤماً كذلك اللؤوم تتبعه الدمامة .

انظر : شافية السلامي : نظرة العرب ، ص ٤٩٨ .

[٢] الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣٦.

[٣] الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣٧.

[٤] الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣٩.

بقوله لإنه كان أحد الأعاجيب، لأنه كان ألثغ قبيح اللثغة في الراء، فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك، لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه[١].

لقد بلغت مقدرة واصل بن عطاء لدرجة لأنه كان يُلقي خطبه كاملة، لأمام الأمراء، وكبار الخطباء، والشعراء بدون أن يذكر حرف الراء مطلقاً في حديثه ، الأمر للذي لأثار إعجاب الحاضرين واستغرابهم لما كان يتمتع به من ذكاء وفصاحة، فضلاً عن قوة بلاغته وإتقانه اللغة إتقانا عظيما، حتى لقبه الناس بالخطيب المفوه ، وبذلك فقد استطاع واصل بن عطاء أن يحول عيبه في النطق إلى أعجوبة خلدها التاريخ حتى صار الشعراء يضربون به المثل في أشعارهم [٢].

وصمة الأخلاقيات والسلوك الشخصي :

كان لا يمسي إلا سكران ولا يصبح إلا مخموراً ،،،

---

[١] الكامل ، تحقيق : محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، د.ت ، ج ٣، ص١٩٢.

[٢] الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣٧.

من ذلك قول أبي محمد الخازن من جملة قصيدة طنّانة طويلة يمدح بها الصّاحب أبا القاسم إسماعيل بن عبّاد وهو: نعم تجنب يوم العطاء كما تجنب بن عطاء لفظة راء

وقال آخرُ في محبوب له ألثغ : أعد لثغة لو أن واصل حاضر ليسمعها ما أسقط الراء واصلُ

وقال آخر أجعلت وصلي الراء لم تنطق به وقطعتني حتى كأنك واصلُ . انظر : ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أنباء أهل هذا الزمان، تحقيق: حسان عباس، دار الثقافة، ١٩٦٨م ، ج٦، ص ٨ والتي تليها .

حتى أن الشاعر بشار بن برد قال:

وجانب الراء ولم يشعر به أحد قبل التصفح والإعراق في الطلب

انظر : الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٤٤ ، ومن الجدير بالذكر فلم يتوقف الأمر عند هذه الوصمة التي أصابت واصل بن عطاء فكان من صفاته أنه طويل العنق، وكان غزالا يعمل بغزل الخيوط من القطن، فقال فيه بشار بن برد:

ما لي أشايع غزالاً له عنق كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم أتكفرون رجالاً أكفروا رجلاً

انظر : الجاحظ: كتاب البيان والتبيين ، ج١ ، ص٣٨، ٤٣.

تبارت بعض النصوص في وصم مجموعة من الخلفاء الأمويين وصماً يتعلق بسلوكهم الشخصي ، كما نجد أن الهجاء انصب على نعي الفضائل النفسية لدى المهجو من كرم وشجاعة وحلم ، وكيف أن هذا الإنسان قد فرط في هذه الفضائل أو شيء منها ، وتم توظيف بعض التفاصيل في السلوك الشخصي لاستحضار الوصم والمعايرة مثل الشراهة فقد وُصم بها سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ / ٧١٥- ٧١٧م) أنه كان من الأكلة [١] أو كما وصف في موضع آخر أنه كان صاحب أكل كثير يجوز المقدار [٢] ، ومن المثير أن فكرة الفحولة الجنسية أو تعدد العلاقات لدى الرجال لم تكن موضعاً للوصم أو المعايرة بمقاييس هذا العصر وربما أنها كانت موضوعاً للفخر في بعض الأحيان وهو ما لن نستطرد فيه في هذا الإطار، على أية حال فيمكن أن نستعرض بعض هذه الوصوم على النحو التالي:

أ/ البخل :

كان البخل أحد ملامح السلوك الشخصي الذي يستجلب الوصمة والمعايرة ، كما أن المصادر التاريخية – ربما وفقًا لتوجهات أيدلوجية – قد مارست بدورها نوع من الوصم تجاه بعض الشخصيات التاريخية الكبرى في العصر الأموي، فعلى سبيل المثال نجد أن ابن الطقطقي قد علل عدم نجاح حركة عبد الله بن الزبير بشكل متكامل أنه كان " عظيم الشح " [٣].

وقيل إن عبد الملك بن مروان كان يلقب " رشـــح الحجر" لبخله ويكنى أبا ذباب لبخره [٤]، وأنه كان بخيلاً على الطعام [٥]، وعلى الرغم من وصمه بصفة البخل إلا أن هناك من يرجع ذلك إلى للذين لم يحظوا بعطلياه فوصـــفومبذلك، وأن ما كان يفعله لم يكن بخلا ولكنه اقتصـــادا وموازنة بين الأمور، لتصرف أموال الدولة في الوجوه التي تستحق[٦].

---

[١] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٨ ، ص ١٣ .

[٢] المسعودي : مروج الذهب ، ج ٣، ص ١٨٤ .

[٣] الفخري ، ص ٨٩ ؛ وراجع أيضاً : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ١٩٦ .

[٤] الجاحظ : البخلاء ، ص ١٤٩ ؛ ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٥٥ ؛ أبي الفدا : المختصر ، ج١ ، ص ٢٤٦ ؛ النويرى : الإلمام ، ج٥ ، ص ٣٤٨ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٦ .

[٥] الجاحظ : البخلاء ، ص ١٤٩ .

[٦] ضياء الدين الريس: عبد الملك بن مروان، موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام العرب رقم ١٠، ص٣١٨.

وفي ســـياق كتابه الذي وصـــف فيه أخلاق الملوك فقد نعت الجاحظ بعض خلفاء الدولة الأموية بالبخل وهم " هشـــام بن عبد الملك بن مروان "[١] ، و " مروان بن محمد " (١٢٧– ١٣٢هـــ / ٧٤٤– ٧٥٠م) [٢] ، وبعيداً عن الجاحظ فقد وُصف هشام بن عبد الملك من نصوص أخرى أنه كان شديد البخل[٣]، وأنه كان يقول ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً[٤]. والواقع أن كل ما ورد بخصـــوص بخل بعض خلفاء بني أمية ناتج عن آراء مخالفيهم أو للذين لم يحظوا بعطائهم.

أما يزيد بن الوليد (١٢٦هـــ / ٧٤٤م) فقد كُنى أيضاً باسم الناقص وقد سمى الناقص لأنه نقص الزيادة التى كان الوليد قد زادها فى أعطيات الناس [٥] .

ب/ شرب الخمر :

---

[١] حسب ابن عبد ربه فقد كان هشام بن عبد الملك من البخلاء ، ونقل عن خالد بن صفوان قوله " دخلت على هشام وأطرفته وحدثته فقال سل حاجتك فقلت يا أمير المؤمنين تزيد في عطائي عشرة دنانير فأطرق حيناً وقال فيم و لم وبم ألعبادة أحدثتها أم لبلاء حسن أبليته في أمير المؤمنين ، ألا لا يابن صفوان ولو كان لكثرة السؤال و لم يحتمله بيت المال فقلت وفقك الله يا أمير المؤمنين وسدد فأنت والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه صنيعة قربى أو صديق توافقه

منعت وبعض المنع حزم وقوة و لم يستلبك المال إلا حقائقه . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ١٩٦ ، ويمكن الوقوف على مواضع أخرى لهذا المعنى : راجع : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٧ ، ص ٢٠٢ .

[٢] أخلاق الملوك ، ص ١٠٣ .

[٣] ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٩٥ ، وراجع في ذلك المعنى : المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٢٢ والتي تليها ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ص ٨٢ .

[٤] الجاحظ : البخلاء ، ص ١٥ .

[٥] ابن قتيبة: المعارف ، ص ٣٦٧ ؛ المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٣٤ ؛ مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٣٨ ، ص١٢٣ ؛ ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٩٧ ؛ مغلطاى : مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٥ ؛ ابن العز الحنفي : شرح القصيدة اللامية في تاريخ خلفاء الدولة الإسلامية ، ص ١٥١ ؛ وكذا راجع حاشية المحقق ، ص ١٠٥؛ أبي الفدا: المختصر، ج١، ص ٢٥٦ ؛ الذهبي: دول الإسلام، ج١، ص ٨٦؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٤٠٣ ، ويعلق نص آخر على ذلك اللقب بقوله " إنما قيل له الناقص لفرط كماله " . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ١ ، ص ٤٨ .

وقد قال فيه الفرزدق بعد خلعه :

خبرك الكهان أنك ناقص دمشق التي قد كانت الجن جرت . انظهر : مجهول : العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، ص ٦٨ .

وضع الجاحظ ثبتًا لخلفاء بني أمية الذين دأبوا على شرب الخمر ، فذكر أن يزيد بن معاوية كان لا يمسي إلا سكران ولا يصبح إلا مخموراً ، وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو أو في الماء ... وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً ، وكان سليمان بن عبد الملك يشرب في كل ثلاث ليال ليلة ، ولم يشرب عمر بن عبد العزيز إلى أن فارق الدنيا ، وكان هشام يسكر في كل جمعة ، وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يدمنان اللهو والشراب ، وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت [١] .

ومن أمراء البيت الأموي الذين أُشيع عنهم صفة المجون مسلمة بن هشام فوصف أنه كان مدمناً للشراب فغضب عليه هشام بن عبد لملك ، وقال يعيرنا الوليد بك وأنا أرشحك للخلافة[٢]، كما أن زوجته شهدت أنه لا يفيق من الشراب[٣].

وصمة طريقة الموت وما بعد الموت :

أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً،،،

طالت الوصمة والمعايرة والعار الاجتماعي أكثر الأحوال خصوصية وهي لحظات الموت ، سواء باستحضار طريقة الموت أو باستعراض أحداث استثنائية بعد الموت يمكن أن يؤسس عليها فعل الوصم .

أ/ وصم طريقة الموت :

---

[١] أخلاق الملوك ، ص ١١٠ .

في الواقع وكما أوضحنا في بداية الدراسة أن ما قام به الجاحظ في معظم منتجه التاريخي الخاص بالدولة الأموية لا يعدو سوى تشويه ودعاية سوداء لا يمكن التعويل عليها ، وأن منتجه التاريخي الخاص بالعباسيين كان أكثر تميزاً وتماسكاً من منتجه الخاص بالعصر الأموي .

حسب إحدى الروايات فقد دخل أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد على عبد الملك بن مروان وبوجهه أثر فقال ما هذا فقال قمت بالليل فأصاب الباب وجهي فقال عبد الملك :

رأتني صريع الخمر يوماً بسوئها ولشاربيها المدمنيها مصارع .

انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٨ ، ص ٥٣ .

[٢] مجهول : العيون والحدائق ، ص ١١٥ .

[٣] مجهول : العيون والحدائق ، ص ١١٧ .

لم تتوقف الوصـمة عند معايرة الأحياء بما يعيبهم بل تجاوزت ذلك إلى الموتى وما ألم بهم عند الموت حتى أن بعضـهم نُعت بقتيل الكلاب لموته على يد كلب [١] ، وينطبق هذا الأمر على موت زياد بن أبيه، فلم تتهاون بعض النصـوص في اسـتحضـار وصـمة طريقة الموت أنه " هلك في رمضـان من أكله في إصـبعه" [٢]، فقد وصـمته المصـادر بكلمة هلك وهي عادة تقال إذا مات أحد أعداء الإسلام والمسلمين وغيرهم أو أولئك الأشرار الذين ضج الناس من شرورهم.

أما عبيد الله بن زياد فبعد أن قُتل بتعليمات من المختار بن عبيد الله الثقفي فإن الجانب الدعائي للوصمة تتبعه حتى فيما بعد الموت ، فقد أُشيع أن حية دقيقة تخطت رؤوس القتلى ودخلت في فمه وخرجت من منخره ثم دخلت في منخره فخرجت من فيه وفعلت ذلك مراراً [٣] ، وحسب روايات أخرى ذكرت أن المختار قد أرسل رأس ابن زياد إلى عبد الله بن الزبير بمكة فنصبت هناك[٤].

وفي سياق مختلف فعند القبض على أحد أتباع عبد الرحمن بن الأشعث وهو ابن القربة وضع الحجاج الحربة في ابن القربة حتى خالطت جوفه ثم خضخضها وأخرجها فاتبعها دم أسود فقال الحجاج هكذا تشجب أوداج الإبل، وفحص ابن القربة برجليه وشخص بصره ، وجعل الحجاج ينظر إليه حتى قضي فحمل في النطع .... " [٥].

ويتعلق ذات الأمر بقتل زيد بن علي حيث قيل بشأنه :

---

[١] أوردت بعض الروايات نَّصا يتعلق بهذه الصفة ، فقد نازع مالك بن مسمع شقيق بن ثور فقال له مالك : إنما شرفك قبر بتستر قال شقيق لكن وضعك قبر بالمشقر ـ وذلك أن مسمعاً أبا مالك جاء إلى قوم بالمشقر فنبحه كلبهم فقتله فقتلوه به ، فكان يقال له : قتيل الكلاب . انظر : ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٤ ، ص ١٣٩ .

[٢] أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر ، ص ٢٣١ .

[٣] ابن الطقطقي : الفخري ، ص ٨٩ ؛ ابن الأثير: الكامل ، جـ ٤، ص ٦٣ ، لم ينس المختار الثقفي العديد من المواقف لعبيد الله بن زياد أبرزها ضربه على عينه في مرحلة سابقة ، و لم يكن المختار ليمرر وعيدًا لبعض خواصه ضد عبيد الله بن زياد دون ذكر سيء لأم " عبيد الله بن زياد " فعندما سُأل المختار عن الإصابة الموجودة فى وجهه قال "خبطها ابن الزانية بالقضيب فصارت كما ترى، قتلني الله إن لم أقطع أنامله وأعضاءه إرباً إربا..." ابن الأثير: الكامل، جـ ٣، ص ٤٩٣ ؛ غنيم: البطل الشهيد المختار بن أبي عبيد الله وزير أهل البيت" المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٥٣ ، يناير ١٩٧٤ ، ص ٨١ .

[٤] المسعودي: مروج الذهب، جـ ٣، ص ١٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ٨، ص ٢٨٦، ص ٢٩٠ .

[٥] الدينوي : الأخبار الطوال ، ص ٣٢٧ .

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب [١]

ب / تشويه سيرة الميت بعد وفاته :

طالت حالة الوصم المتوفى بعد وفاته من الخوض في سيرته ووصمه بما لا يطيق ولا يقدر عنه دفاعاً والأمثلة على ذلك متعددة ويمكن أن نرصد بعض النماذج الدالة على هذا الطرح ، فعلى سبيل المثال لما بلغ عبد الله بن عمر موت زياد بن أبي سفيان " ابن أبيه " قال : اذهب إليك ابن سمية لا يداً رفعت عن حرام ولا دنيا تمليت [٢] .

ولم تتوان السلطة على استحضار الوصمة للمعارضة بمنطق كتابة التاريخ من قبل المنتصر، فقد كان عبد الله بن مطيع أحد رجال عبد الله بن الزبير وبعد مقتله صلى عليه الحجاج وقال " اللهم هذا عدو الله ابن مطيع كان موالياً لأعدائك ومعاديا لأوليائك فاملأ عليه قبره ناراً [٣].

كما علقت نصوص مخالفة في الاتجاه المذهبي مثلها المسعودي معبراً عن الاتجاه الشيعي بشأن موت يزيد بن عبد الملك قائلاً " وهلك يزيد بحوارين من أرض دمشق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وفي ذلك يقول رجل من عنزة

يا أيها القبر بحوارينا ضممت شر الناس أجمعينا [٤] .

كما ساهم سليمان في تشويه سمعة أخيه الخليفة الوليد بن يزيد فقال بعد موته بقوله " أشهد أنه كان شروباً للخمر ماجناً فاسقاً " [٥] ، ولما قُتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ..... وظهر الجبان العنيد المستحل للحرمة والراكب للبدعة والمغير للسنة " [٦] .

---

[١] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢١٩ ؛ المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٣١ . والمصدرين بين مصدر شيعي ومصدر متعاطف .

[٢] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٧٤ .

[٣] ابن قتيبة : المعارف ، ص ٣٩٥ .

[٤] المسعودي : مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٦٣ .

[٥] مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٣٤ .

[٦] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٠٧ .

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

الوليد بن يزيد كتجسيد للوصمة الدعائية [١]:

والوليد بن ذا يزيد أضحى وما باللهو واللعب مهًا [٢]

يُعد الخليفة الأموي " الوليد بن يزيد" أكثر الخلفاء الأمويين تعاسة في هذا الأمر إذ يتفرد بما ناله من وصمات دعائية تم استحضارها من قبل خصومه أو كصناعة دعائية مضادة تمثلت في موجة ضخمة من الدعايا السوداء تم توظيفها ضد الوليد بن يزيد ، فعلى سبيل المثال نُعت بالزنديق[٣] ، ووصفته نصوص أخرىبأنه صاحب صيد وتهتك ولهو ولذات[٤]، وأنه أظهر الخلاعة والمجون ولزوم الشرب، وحمل معه إلى مكة كلاب الصيد في صناديق، وعمل قبة على قدر الكعبة وأخذها معه لينصبها عليه[٥]، وكان دهره بين حالين بين سكر وخمار ، ولم يوجد أبداً إلا ومعه إحدى هاتين [٦] .

وبوصف نصوص متأخرة أيضاً ساهمت في ترسيخ الصورة الدعائية منها على سبيل المثال نص الذهبي الذي وصم الوليد بوصفه " أنه كان فاسقًا متستهتراً متهتكًا .... فقاموا عليه بفسقه وارتكابه القبائح "[٧]، وتبارت نصوص أخرى في الكيل له بأنه كان يُلقب بعدة ألقاب منها لأنه "البيطار، وخليع بني أمية، والفاتك والزنديق، كان مصروف الهمة إلى اللهو والأكل والشرب"[٨]،

---

[١] رأى الباحث أن يُنهي البحث بدراسة حالة للخليفة الوليد بن يزيد كتجسيد متكامل لصناعة الوصمة بين صراعات سياسية وأطماع في السلطة ، وقوى دينية ، وكتابات تاريخية متأخرة أو كتابات دعائية أنتجت صورة مشوهة لخليفة تم تشويه سيرته بفعل فاعل .

[٢] ابن العز الحنفي: القصيدة اللامية في شرح خلفاء الدولة الإسلامية ، ص١٢ .

[٣] مغلطاى : مختصر تاريخ الخلفاء ، ص ١٠٤ .

[٤] مجهول : العيون والحدائق ، ص ١٣٠ .

[٥] الحموي : التاريخ المظفري ، ص ٣٢٩ .

[٦] الجاحظ : أخلاق الملوك ، ص ١١٠ .

[٧] دول الإسلام ، ج١ ، ص ٨٦ .

[٨] ابن العز الحنفي : القصيدة اللامية في شرح خلفاء الدولة الإسلامية ، ص ١٤٦ .

وبصيغ أخرى أنه كان كثير اللهو واللعب وشرب الخمور ، وانتهاك حرمة الشريعة غير متستر بذلك[١] ، ولم يسلم الوليد حتى من المصادر السريانية فوصفته إحداها " القاسي " [٢] .

وتبارت نصوص أخرى على وصفه بأنه كان " فاسقاً شريباً للخمر منتهكاً حرمات الله ، بل وتم إتهامه بأنه أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة، فضلاً عما وُصف به من تجاوزات أخلاقية عديدة، ورغم ما رسخته النصوص التاريخية من اتهامات شكلت وصمة واضحة للوليد بن يزيد إلا أننا نلمح اختلافات واضحة ، فالسيوطي على سبيل المثال رغم تأخره الزمني يكيل هذه الاتهامات ولكنه يستطرد برواية منقولة أنه " لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك "[٣] ، كما وردت في سياقات أخرى متأخرة مقولات للدفاع عن الوليد بن يزيد نقلها صاحب العيون والحدائق عن الرشيد أنه قال " رحم الله الوليد ولا رحم قاتله فإنه كان إماماً مجتمعاً عليه، وقيل إن الوليد كان زنديقاً فقال خلافة الله تعالى أجل وأكرم من أن يوليها من لا يؤمن به "[٤] .

ومن رحم الوصوم يمكن أن نستخرج بعض المشاهد التي تشككنا في هذا الطرح ، فحسب إحدى الروايات التي تؤرخ لمقتل الوليد بن يزيد أنهم بعد أن استجاشوا عليه قائلين يا وليد يا لوطي يا شارب الخمر[٥]، أو وفقاً لروايات أخرى " اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط وقبل قتله حتى أنه قال لهم أما فيكم رجل شريف ذو حسب أكلمه .. وعدد الوليد حيثيات دفاعه عن نفسه " ألم أزد في إعطائكم ، ألم أرفع المون عنكم ، ألم أعط فقراءكم ، ألم أخدم زمناكم فقالوا ما ننقم عليك في أنفسنا ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله من شرب الخمر واستخفافك بأمر الله وإتيانك الذكور فقال للمتحدث حسبك يا أخا السكاكك ولعمرى لقد أعرقت وأكثرت وإن في ما أحل الله لمندوحة عما ذكرت ، والله لا يرتق فتقكم ولا يلم شعثكم ولا يجتمع كلمتكم ثم رجع إلى للدار وأخذ مصحفاً وقال يوم كيوم عثمان " [٦].

---

[١] ابن العز الحنفي : القصيدة اللامية في شرح خلفاء الدولة الإسلامية ، ص ١٤٨ .

[٢] ديونيسيوس التلمحري : تاريخ الزوقنيني المنحول ، ترجمه عن السريانية : الشماس بطرس قاشا ، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه ، الأب سهيل بطرس قاشا ، المكتبة البولسية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ٨٩ .

[٣] السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٩٩ والتي تليها ؛ وراجع أيضا : أبي الفدا : المختصر ، ج١ ، ص ٢٥٦.

[٤] مجهول: العيون والحدائق ، ص ١٣٥ .

[٥] الدينوري: الأخبار الطوال ، ص ٣٢٩ .

[٦] مجهول: العيون والحدائق ، ص ١٣١ .

ومن الغريب أن أشد واصمي الوليد وأشدهم قولاً فيه يزيد بن الوليد وكان الناس إلى قوله أميل لأنه كان يظهر النسك [١] ، وكأن إظهار التدين عاملاً وحيثية من حيثيات نشر الصورة الدعائية بغض النظر عن مدى مصداقية هذه الصورة .

وحسب إحدى الدراسات الهامة التي حاولت تفكيك ما وراء النص في وصم الوليد فقد حشد الكاتب حيثيات ترصد ماهية صناعة تلك الصورة : منها أن بعض الفقهاء المتزمتين المتعسفين ساهموا في مسخ سيرة الوليد فقد صنف القاضي " المعافى بن زكريا الجريري" المتوفى سنة (٣٩٠هـ / ٩٩٩م) كتاباً حشد فيه كل ما وقع عليه وما صُنع له من أخبار وأشعار سقيمة خبيثة تُجرح الوليد وتقدح في خلقه ودينه ، كما كان هشام بن عبد الملك وبعض أبنائه ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وطائفه من إخولنه ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن عبد العزيز ينافسون الوليد ويحقدون عليه فبادروا إلى الطعن فيه والتشهير به مبتغين تحطيمه ، وتسويغ منازعتهم له وثورتهم عليه ، وتعلق الرواة والإخباريون بافتراءاتهم وأباطيلهم ، ومدوا فيها ، وأضافوا إليها ولم يزالوا بها يوسعونها ، ويُقحمون فيها ما يولدون ويخترعون حتى غدا الوليد عندهم شخصية أسطورية خرافية لا مثيل لها في مجانتها وكفرها وزندقتها " [٢] ، كما ساهم الرواة والعلماء الذين استحكم في نفوسهم بغض الأمويين وكانت لهم صلة بالعباسيين في إبراز الجانب اللاهي من سيرة يزيد بن عبد الملك ولجوا في تضخيمه ودسوا عليه أخباراً محرفة أو مزيفة أبعدته عن الواقع وجعلته كالخيال [٣] ، وبقناعة يقر حكمه للذي يتفق للباحث معه بأن "ما يبدو في أخبار يزيد بن عبد الملك من تناقض وتهويل وافتعال مبعثه الميول السياسية لبعض الكتاب الذين ناصروا العباسيين في القرن الثالث ودافعوا عن حقهم في الخلافة " [٤] .

---

[١] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج٥ ، ص ٢٠٦ .

[٢] المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٣٦ ؛ حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٨ .

[٣] حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٣٠ .

[٤] حسين عطوان : سيرة الوليد بن يزيد ، ص ٢٨ .

الخلاصـــــــــــــــة :

- في العصر الأموي وفي خضم حالة الاستقطاب الديني وتنامي العصبيات المذهبية والقبلية والتفوق الجنسي تم استحضار سلاح جديد من نوعه كان من الصعب مقاومته أو الحد من تأثيره النفسي والمعنوي والاجتماعي وهو سلاح الوصمة والمعايرة التي ألحقت بالموصوم عاراً إجتماعياً كان من الصعب الفكاك منه .
- هناك حالة اتصال – مرهق على أي باحث التعامل معه – بين الوصوم الحقيقية التي عُير بها رجال السلطة أو العناصر البارزة أو حتى المغمورة في المجتمع الأموي ، وبين حالة صناعة الصورة التي تمت برعاية كتابات تاريخية كُتبت في العصر العباسي إما بأقلام مؤرخي سلطة نافقوا العباسيين بكتاباتهم ، أو من هم ذوو ميول شيعية ساهموا بشكل واضح في رسم صورة قاتمة لأعدائهم التقليديين ، أو لكتابات اكتفت بالصمت أوتبرعت بالتشوية خوفاً من السلطة العباسية .
- تنوعت موضوعات الوصوم والمعايرة والعار الاجتماعي بين قضايا متعددة كان أبرزها وصمة الأصل والعرق كونها كانت صلب قضية العصبية ، وبغض النظر عما ناله الموالي من مكاسب اجتماعية وحضور سياسي في بعض الأحيان ، إلا أن حضور كلمة "ابن أمة" كان كفيلًا باستحضار كافة الأوجاع المعنوية والمعايرة للمنادى بهذا النداء .
- شكلت المعايرة بالأهل وماضيهم أحد أبرز مواضع الوصم في العصر الأموي ، وقد أشارت العديد من النصوص التاريخية إلى هذا الطرح ، فكثيراً ما تعرض رجال للمعايرة ولحقت بهم الوصوم بسبب أمهاتهم أو آبائهم وحتى في أعلى مستويات السلطة ومن معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأول الذي كان يُعير بأنه " ابن آكلة الأكباد " ، فضلاً عن استحضار ألفاظ أو صفات ممكن أن توصم بها إحدى نساء عائلة الموصوم، ربما عبر تاريخ أخلاقي غير محمود سواء كان ذلك واقعاً أو ادعاءً، ومن هنا فإن المعايرة بهذا التاريخ العائلي كان كفيلاً بإلصاق الوصمة أو إلحاق ذم واضح يستوجب المعايرة .
- شكل الانتماء الديني السابق على الإسلام عاملاً من عوامل الوصم والمعايرة متغافلين عن قاعدتين هامتين أولهما " لا نفرق بين أحد من رسله " وقاعدة " الإسلام يَجُبُ ما قبله " ، وقد تم التغافل عن هذه القواعد في بعض الأحيان إما بدافع العصبية أو التعصب .
- شكلت حادثة استلحاق " زياد بن أبيه" أبرز حالات حضور واستحضار الوصمة في التاريخ الأموي ، فعاش ماضيه في ظل وصمة الأم وعاش حاضره في ظل وصمة الاستلحاق ، ورغم أن وصمة زياد بن أبيه كانت بطاقة عبوره لمراتب السلطة والصفوة ودائرة صناعة

القرار ورغم أن زياداً قد استفاد من وصمته التي طالما سببت له ألماً نفسياً شديد الوطأة إلا أن ذلك الألم لم ينقطع حتى بعد شرف الاستلحاق ، وظلت لعنة " سمية " تلاحقه وتلاحق أبناءه .

- تم توظيف الوصمة والمعايرة كسلاح في حوادث الصراع السياسي وسعى كل فريق للبحث عما يرفع من شأنه وفي نفس الوقت يقلل من شأن من الآخر ، فقد وظفت السلطة الوصمة كأداة سياسية في الحكم والإدارة ، وكان مجرد الانتماء لمعسكر المعارضة أو عدم الرضا عن سياسات السلطة الأموية كفيلاً باطلاق آلة دعائية ضخمة من الوصوم التي من شأنها إلحاق عار اجتماعي كبير طعناً في السمعة والذمة والدين ، وعلى الجانب الآخر فقد وظفت المعارضة أيضاً الوصمة والمعايرة لإلحاق أضرار معنوية بالسلطة ، وصناعة صورة ساهمت في إلحاق عار إجتماعي في بعض الحالات .
- انعكست جدلية الصراع السياسي على وصم المدن وإلصاق صفات سلبية بها وبأهلها كحكم عام غير صحيح وغير آمين وغير موضوعي، وكان هذا إما لانتمائها المذهبي أو السياسي أو كنتيجة لتاريخ تجربة المدينة مع السلطة أو المعارضة .
- تم استحضار السمات والأوصاف الشخصية والجسدية في جدلية المعايرة والوصمة بل كان يتم استخدامها للتدليل على الانتقاص من قدر الرجل وقيمته وهو ما يعرف في المصطلح المعاصر " بالتنمر " .
- كانت السلوكيات الشخصية لبعض الخلفاء مثل الشراهة والبخل وشرب الخمر عاملاً من عوامل الوصم والمعايرة في العصر الأموي.
- تجاوزت الوصمة والمعايرة الأحياء لتتعدى ذلك إلى الأموات إما بتصوير أو ذكر طريقة بشعة أو مشينة لموتهم ، فضلاً عن حالة التشويه والخوض في السمعة التي طالت البعض بعد وفاته في غير حول ولا قوة له في الدفاع عن نفسه .
- أنهت الدراسة محاورها بدراسة حالة تتعلق بالخليفة الأموي " الوليد بن يزيد" كأكثر الخلفاء الأمويين تعاسة في هذا الأمر إذ يتفرد بما ناله من وصمات دعائية تم استحضارها من قبل خصومه أو كصناعة دعائية مضادة تمثلت في موجة ضخمة من الدعايا السوداء تم توظيفها ضد الوليد بن يزيد ، وتشكلت قناعة الباحث أن معظم ما كُتب عنه كان تجسيداً لصناعة نص تاريخي مفبرك برعاية كتابات دعائية أنتجت صورة مشوهة ، وصراعات سياسية وأطماع في السلطة ، وقوى دينية ، وكتابات تاريخية متأخرة ، أدت هذه العوامل لصورة وسيرة تم تشويها بفعل فاعل .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

ابن الأثير " أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، ت (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م)

أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م .

الكامل في التاريخ ، تصحيح د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

إدريس عماد الدين " الداعي إدريسي بن الحسين بن عبدالله الأنف " (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م)

عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، السبع الرابع ، بيروت ، د. ت

الأربلي " عبد الرحمن سنبط قنيتو الأربلي " ت (٧١٧هـ / ١٣١٧م)

خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، وقف على طبعه وتصحيحه : مكي السيد جاسم ، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت .

الأصفهاني " أبي الفرج " (ت ٣٥٦ هـ / ٩٧٥م)

" مقاتل الطالبين " تحقيق السيد أحمد صقر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣ .

البغدادي " عبدالقاهر بن طاهر بن محمد " (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)

الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، مكتبة دار التراث ، د . ت .

ابن تغري بردي " جمال الدين أبي المحاسن يوسف " ت (٨٧٤هـ/ ١٤٦٩ م)

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٨، مصورة عن الطبعة البولاقية الأولى .

الجاحظ " أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ " ت (٢٥٥هـ / ٨٦٩ م)

أخلاق الملوك ، تحقيق : نسيم الهواري ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٢٢.

البخلاء ، تحقيق : طه الحاجري ، دار المعارف ، القاهرة، الطبعة السابعة ، د.ت.

البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠ .

البيان والتبين ، تحقيق: عبدالسلام هارون ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

رسالة في بني أمية ، وهي ملحق لكتاب المقريزي النزاع والتخاصم ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

ابن حزم " أبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي " ت (٤٥٦هـ / ١٠٦٣م)

الأخلاق والسير ، تحقيق : إيفار رياض، دار ابن حزم ، د.ت .

الحموي " شهاب الدين ابراهيم بن أبي الدم " ت (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م)

التاريخ الإسلامي المعروف باسم التاريخ المظفري ، تحقيق : حامد زيان غانم ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد" ت (٨٠٦هـ/ ١٤٠٦م)

العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٧، مصورة عن طبعة بولاق الأولى.

ابن خلكان " أبي العباسي شمس الدين أحمد بن محمد " ت (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)

وفيات الأعيان وأنباء أبناء أهل هذا الزمان، تحقيق: حسان عباس، دار الثقافة، ١٩٦٨م.

الدينوري " أبي حنيفة أحمد بن داود " ت (٢٨٢ هـ / ٨٩٥م)

الأخبار الطوال ، تحقيق : فلاديمير جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ .

ديونيسيوس التلمحري " البطريرك ديونيسيوس الأول " ت (٢٣١هـ / ٨٤٥م)

تاريخ الزوقنيني المنحول ، ترجمه عن السريانية : الشماس بطرس قاشا ، قدم له وعلق عليه ووضع حواشيه ، الأب سهيل بطرس قاشا ، المكتبة البولسية ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠ .

سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠١ .

دول الإسلام ، تحقيق : فهيم شلتوت ، محمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ .

الزبير بن بكار ت (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)

الأخبار الموفقيات ، تحقيق : د/ سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ .

السيوطي "جلال الدين " ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

تاريخ الخلفاء ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، د.ت .

الطبري " أبو جعفر محمد بن جرير" ت (٣١٠ هـ/ ٩٢٢ م)

تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ١٩٦٩م.

ابن الطقطقي " محمد بن علي بن طباطبا " ت (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م)

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، عني بنشره : محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية بمصر ، د.ت .

ابن عبد ربه " أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي " ت (٣٢٨هـ / ٩٣٩م)

العقد الفريد ، تحقيق : مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ .

ابن العز الحنفي " صدر الدين أبي الحسن علي بن علاء الدين " ت (٧٩٢ هـ / ١٣٨٩م)

شرح القصيد اللامية في خلفاء الدولة الإسلامية ، تحقيق : أشرف عبد المقصود عبد الرحيم ، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠١٣ .

ابن عساكر " أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله" ت (٥٧١هـ/ ١١٧٥م)

تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، دار الفكر ، دمشق، ج٢٦ طبعة ١٩٩٥، ج٤٣، ١٩٩٦.

ابن العمراني " محمد بن علي بن محمد " ت (٥٨٠هـ / ١١٨٤م)

الإنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق وتقديم : قاسم السامرائي ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ .

أبي الفدا " عماد الدين إسماعيل " ت (٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م)

المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : محمد زينهم عزب وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

ابن الفراء " أبي علي الحسين بن محمد " ت (٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)

رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة ، تحقيق د/ صلاح الدين المنجد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

ابن قتيبة " أبي محمد عبدالله بن مسلم " ت (٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م)

المعارف ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٢١ .

عيون الأخبار، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، ٢٠٠٣.

ابن كثير " إسماعيل بن محمد بن كثير القرشي " ت (٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م)

البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د. ت .

المالكي " محمد بن عبد الله بن محمد المعافرى " ت (٥٤٣هـ/ ١١٤٨ م)

العواصم من القواصم في تحقيق موقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق: محمد جميل مغازي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

المبرد " أبي العباس محمد بن اليزيد " ت (٢٨٥ هـ / ٨٩٨م)

الكامل ، تحقيق : د/ محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، د.ت .

مجهول " من رجال القرن الرابع الهجري"

العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى ، بغداد ، د.ت .

المسعودي " أي الحسن علي بن الحسين " ت (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨١ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، د.ت .

المقدسي " شمس الدين أبو عبدالله " ت (٣٨٨هـ/ ٩٩٨ م)

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .

المقدسي " مطهر بن طاهر" ت (٥٠٧ه / ١١١٣ م)

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت.

المقريزي " تقي الدين أحمد بن علي" ت (٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م)

النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، تحقيق : حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

مغلطاى " علاء الدين بن قلج " ت (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م)

مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق : آسيا كليبان على البارح ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ .

ابن منظور " جمال الدين أبو الفضل" ت (٧١١هـ/ ١٣١١ م)

لسان العرب، دار المعارف، القاهرة ، د.ت.

النوبختي " الحسن بن موسى " (ت ٣٠٢ هـ/ ٩١٤م)

فرق الشيعة وبه زيادات من القمى ، تحقيق د/ عبدالمنعم الحنفي ، دار الرشاد ، القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢ .

يزيد بن مفرغ " يزيد بن زياد بن ربيعة بمفرغ الحميري " ت (٦٩هـ / ٦٨٨م)

ديوان يزيد بن مفرغ، تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٢ .

اليعقوبي" أحمد بن أبي يعقوب بن واضح " توفي بعد سنة (٢٩٢هـ/ ٩٠٤ م)

تاريخ اليعقوبي ، دار صعب – دار صادر ، بيروت ، د.ت .

ثانياً : المراجع العربية :

أحمد شلبي:

موسوعة التاريخ الإسلامي، جـــ ٢، والجزء بعنوان : الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها " جـــ٢ من موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة، ١٩٦٩ .

حافظ محمد عباس الشمري :

كثير عزة بين ناقديه ومادحيه، مركز الكتاب الأكاديمي ، ٢٠١٤ .

حسين عطوان :

سيرة الوليد بن يزيد من كتب التاريخ والأدب ومن شعره ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

السيد عبد العزيز سالم :

تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٣ .

شافية حداد السلامي :

نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة من الفتح إلى القرن الثالث هـــ / التاسع م ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

ضياء الدين الريس:

عبد الملك بن مروان، موحد الدولة العربية، سلسلة أعلام العرب رقم ١٠ ، د.ت .

عبد العزيز غنيم :

البطل الشهيد المختار بن أبي عبيد الله وزير أهل البيت" المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٥٣ ، يناير ١٩٧٤ .

ع ع :

تراث العبيد دراسة في علم الاجتماع التاريخي ، المكتب العربي للمعارف ، القاهرة ، ١٩٩٥ ،

عبد المنعم ماجد :

التاريخ السياسي للدولة العربية عصر الخلفاء الأمويين ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٩ .

محمد سهيل طقوش:

تاريخ الدولة الأموية " دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ .

محمد فياض :

فرق الشيعة بين النشأة والتطور والعمل السياسي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٣.

ثالثاً : المراجع المترجمة :

باتريشيا كرون ، مارتن هيندز :

خليفة الله " السلطة الدينية في العصور الإسلامية الأولى ، ترجمة : أحمد طلعت ، مراجعة : مارتن هيندز ، جسور للترجمة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٧ .

برنارد لويس :

العرب في التاريخ ، ترجمة : نبيه أمين فارس ، محمود يوسف زايد ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٤ ،

فان فلوتن :

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية ، ترجمة : حسن إبراهين حسن ، محمد زكي ابراهيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

رابعاً : الدراسات والبحوث :

سهيل قاشا :

المسيحيون والدولة الأموية ، فصل ملحق على نص ترجمته لكتاب ديونيسيوس المنحول ، المكتبة البولسية ، بيروت ، ٢٠٠٦ .

عبد العزيز بن محمد الخويطر :

الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي نظرة في طبيعة الفن وتراوحه بين القبلية والإسلام ، حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق ، جامعة الأزهر ، المجلد ٣٣ ، العدد١ ، ٢٠١٣ .

محمد عبد الله النقيرة:

مصادرات الخلفاء وأعوانهم لأموال مخالفيهم حتى نهاية العصر العباسي الأول، بحث منشور في ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، المجلد التاسع، ١٩٩٢ م،

هشام عزت علي عنبر :

موقف بعض مؤرخي القرن التاسع الهجري من الشيعة والتشيع ، دراسة مقارنة بين المقريزي وابن تغري بردي ، المجلة العلمية لكلية الآداب ، جامعة دمياط ، مجلد ١١ ، عدد ٢ ، ٢٠٢٢ .